الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع

الإنسان عند إخوان الصفاء

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

– هلالي حورية

تحت اشراف الأستاذ:

– بازة الحاج

السنة الجامعية 2017/2016

الإهداء

الحمد لله الذي أنار قلبي بنور العلم، فكساني بثوبه محبة وإخلاص

أتقدم بإهداء ثمرة جهدي إلى اللذين قال فيهما عزّ وجل

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

إلى من كابد مشقة الحياة وكان مثلي الأعلى وسندي في الحياة

إلى الذي تاهت الكلمات في وصفه وعجز اللسان في ذكر مآثره

إلى الذي غرس في نفسي حب المعرفة وعلمني قدسية العلم والعمل إلى مصدر آمالي إليك يا من عشت بنا ولنا أب الغالي "رمضان"

إلى نور العيون ورمش الجفون والصدر الحنون، إلى التي رآني قلبها قبل عينيها وحضنتني أحشاءها قبل يديها، أهدي سلامي ومحبتي، إليها ذلك النبع الصافي والشمعة المضيئة لدربي، أمي "مسعودة"

إلى سندي الشديد وحبي المديد، إلى من كانوا شموعا في ظلامي وورودا في بستاني إخواني "عمار-رابح-أنور-رفيق-هيثم-عبد الرحمان"

أخواتي: "وردة-أحلام-عائشة-إكرام-ليلى-نورة"

إلى النجم الساري في سماء أفقي إلى الغالي الذي سكن أعماقي زوجي "محمد"

إلى التي أرى السعادة في عينيها وأرتاح وأنا معها جدتي الغالية "العارفة..رحمها الله"

إلى جمعني بهم القدر فكن أحلى ما في العمر

إلى كل الأهل والأقارب "أعمام-أخوال-عمات-خالات"

شكر وعرفان

الشكر الجزيل والحمد الكثير لله العلي القدير الذي وفقني

وأعانني على إتمام هذا العمل المتواضع

كما أتقدم بالشكر للأستاذ المشرف "بازة الحاج" على التوجيهات التي مدني بها

طيلة بحثي هذا.

وأقدم شكري الى زوجة خالي نورة على نصائحها وتوجيهاتها

الشكر موصول إلى طاقم مكتبة رواق للخدمات الجامعية على لطافتهم معنا

وجديتهم في العمل

كما أتقدم بشكري لكل من قدم لنا النصيحة من قريب أو من بعيد ولو بكلمة أو

دعوة صالحة

مقدمة

مقدمة:

يعد موضوع الإنسان من أهم الموضوعات الحية الجديرة بالعناية والاهتمام ومازالت الدراسات التي تتمحور حوله مثال جدل واهتمام، وقد اختلفت نتائج هذه الدراسات تبعا لاختلاف المفهومات المعرفية للمفكرين والباحثين وتبعا لمنشئهم الحضاري.

ولعل البحث في الإنسان يشكل جانبا مهما من تلك المواضيع والقضايا، جانب يكتنفه الكثير من الغموض، وتتخلله الكثير من الصعوبات المنهجية والمعرفية، وذلك باعتبار الإنسان باحثا ومبحوثا في نفس الوقت (آن واحد).

ليست دراسة موضوع الإنسان عند إخوان الصفا، من الأمور السهلة، فهي تعتبر لغز مبهم في التاريخ الإسلامي، وسر من أسرار العقائد الباطنية، عسر فهمه، وكتر فكري ثمين أغلقت الأبواب دونه، وتضاربت الأقوال فيه، وتشعبت الأبحاث حوله، حتى أصبح محلا للاستنتاج العقلي الذي قلما أدى إلى نتيجة تميط اللثام أو إلى هدف ينير السبيل، أو يكشف الحقيقة المتحجبة وراء ستار كثيف من الكتمان.

وعلى الرغم من التغيرات، التي يتميز بها عالمنا اليوم، ظل الإنسان شديد الرغبة في معاناته المعرفية والفكرية على حد سواء ساعيا إلى معرفة أكثر بالإنسان، ولكن الإنسان عجز عن فهم الإنسان سواء عن طريق ثنائية النفس والجسد أو ثنائية الحياة والموت أو ثنائية الخير والشر.

وقد دفعني تضارب أراء الباحثين في الإخوان على هذا النحو سببا أساسي في اختيارنا لموضوع مفهوم الإنسان عند إخوان الصفا إلى محاولة التعرف على الرأي الصحيح في أمرهم محاولتا تجلي حقيقتهم، وإيضاح كل ما عايشوه في عصرهم، و لم يكن ذلك بالأمر اليسير، بل تحف به الصعوبات لاسيما في دراسة تلتزم قواعد البحث، ولا ترجع هذه الصعوبات، إلى كثرة ما يثار حول هذه الجماعة من اختلاف في الرأي والحكم بين الباحثين فحسب، بل ترجع كذلك إلى منهج الإخوان في طرح أراءهم وأفكارهم، وإلى أسلوب الرسائل في تناول لكن الآراء والأفكار وعرضها، فقد كان نهجهم وأسلوبهم غريبين ليس في عصرهم فحسب، بل كان كذلك في العصور اللاحقة.

لهذه الدوافع وغيرها انصب الاهتمام على إخوان الصفاء وفق اشكالية مفادها: **إلى أي مدى يمكن القول أن إخوان الصفاء استطاعوا تجاوز عصرهم في رؤية الإنسان؟ وما هي الرؤية التي قدموها في خضم التفاعل الفكري الذي ساد القرن الرابع الهجري؟ وما هي نظرتهم في دراسة الإنسان؟**

للإجابة عن هذه الإشكالية عند إخوان الصفاء وما قد حدث عنها من تحديد في رؤيتهم للإنسان حسب ما كان سائدا في القرن الرابع الهجري من ثقافة وحسب ما تلا ذلك في العصور الموالية.

فقد اقتضى البحث أن نقسم هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، بالإضافة إلى الحاق الدراسة بقائمة مصادر ومراجع التي عدنا إليها.

- تناول الفصل الأول أهم الجذور التاريخية البارزة التي أثرت في فكر إخوان الصفاء خلال القرن الرابع الهجري مع ذكر مصادر تسميتهم وفلسفتهم، والظرف السياسي والمعطى الإجماعي وغيرها من العوامل التي ساهمت في تشكيل فكرهم.

- احتوى الفصل الثاني على حقيقة الإنسان عند الإخوان من ناحية مكانته وثنائيه النفس والجسد وطبيعة النفس عندهم والمنهج المتبع هنا وصفي تحليلي.

- أما الفصل الثالث فعالج مسألة الأخلاق والعوامل المؤثرة فيها وكيفيه الوصول إلى السعادة وأنواعها، مع ذكر كل من الأخلاق المطبوعة والمكتسبة.

وخاتمة تبين فيها كيفية الاستفادة من الآراء والنتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث في الإنسان في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الحضارة الإسلامية، وخاصة فيما ورد عن جماعة امتهنت السرية في تفكيرها والنظر إلى الإنسان من وجهات مختلفة.

ولا بد لنا أن نبين بعض الصعوبات التي اعترضتنا خلال الدراسة وأهمها:

- صعوبة الدراسة لجماعة سرية.

- ندرة المصادر التي تدرس حقيقة الانسان في رسائل إخوان الصفاء دراسة شاملة ومترابطة.

الفصل الأول

الجذور التاريخية لتفكير إخوان الصفاء

المبحث الأول: التعريف بإخوان الصفاء:

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية والاجتماعية في القرن الرابع الهجري.

المبحث الثالث: مصادر فلسفة إخوان الصفاء.

المبحث الأول: التعريف بإخوان الصفاء:

اسم إخوان الصفاء: إخوان الصفاء وخلان الوفاء وأهل العدل وأبناء الحمد، اسم اتخذه الإخوان للدلالة على حقيقة حالهم، وهو اسم قديم عند العرب ظهر في أسفارهم وكتاباتهم[1].

وقد ورد اسم إخوان الصفاء، في غير موضع من الشعر العربي ففي أبيات لأوس بن حجر* جاء:

وودع إخوان الصفاء بقرزل يمر كمريخ الوليد المقزع

وجاء كتاب "كليلة ودمنة" وله عند إخوان الصفاء مكان مرموق كما هو موجود في باب الحمامة المطوقة "قال دبشليم الملك لبيديا، الفيلسوف فحدثني أن رأيت عن إخوان الصفاء كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض"؟

قال الفيلسوف أن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئا، فالإخوان هم الأعوان على الخير كله...فإنه لا شيء من سرور الدنيا بعدل صحبة الإخوان...فالإنسان الذي قد اعطى العقل والفهم، وألهم الخير والشر، ومنح التمييز والمعرفة، أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد فهذا مثل إخوان الصفاء وائتلافهم بالصحبة.[2]

1- حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل بيروت، ط3، سنة 1993، ص227.

* أوس بن حجر بن مالك التميمي، شاعر مضر أبو شريح (95-2ق-هـ/ 530-620م) من كبار شعراء تميم في الجاهلية.

2- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، سنة1998، ص 133، 134.

أما فكرة الأخوة في الإسلام، فلها أساسها المستمد من آيات القرآن الكريم لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1] .

وقد وصف أبو حيان التوحيدي* جماعة إخوان الصفاء القرن الرابع هجري بقوله "وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله وذلك أنهم قالو أن الشريعة قد دنست واختلطت بالضلالات ولا سبيل لغسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية.[2]

ومهما كان التداخل في هذا النص، فإن الذي يهم هو اعتماد إخوان الصفاء على الدين ليس تبريرا لعنوانهم فقط، وإنما اعتباره كذلك منطلقا لمشروعهم الفلسفي، ولعل كلمات مثل الصداقة والقدس والطهارة تدل دلالة قاطعة على معاني الأخوة.

1–سورة الحجرات، الآية (10).

* أبو حيان التوحيدي (310-414 هـ/922-1023م) فيلسوف متصوف وأديب من أعلام القرن الرابع هجري، من مؤلفاته: البصائر والدخائر، المقابسات.

2– توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، ط1، بيروت لبنان، 2000، ص126، لمزيد من التفصيل، أنظر أبي حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص5,6. وأيضا، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 19825، ص 728.

وما يبرر تسمية الأخوة باعتبارها فرقة دينية وحركة اجتماعية نقدية للواقع الاجتماعي الذي كان سائدا في عصرهم، ومن هذا الجانب يطلق عليهم عادل العوا* في كتابه الكلام والفلسفة "وهذه التعاونية الاشتراكية الانسانية لا تستهدف سوى غرض أخلاقي يتمثل في القضاء على آفات الفكر أي لإنقاذ العقل من الانحراف، والزلل والقضاء على آفات العمل للخلاص من الهلاك والتفرقة والتنافر والشحناء، وبهذا المنهج الانتقادي تطهر اليد، ويطهر الذهن، ويتم من ثم اتفاق العقول والجوارح ويتحقق المثلى الاعلى في الأرض، بتحقق جوهر الإنسانية في الإنسان"[1].

من هذا المنطلق فإن الفكر النقدي قد طبع أفكار إخوان الصفاء، نقد الظواهر الاجتماعية والثقافية الاجتماعية، معتمدين في ذلك على العقل أولا، والعمل ثانيا، وبالعقل والعمل تتكامل الطبيعة الإنسانية، وبنقدهما تتميز وتتجسد في حياة الإنسان كل الإنسان، وبالتالي تنعكس على المجتمع ويكفي هذا أن يكون مبررا لتسمية أنفسهم الإخوان.

فحري بجماعة هذه صفتهم أن يتسموا، باسم " الإخوان " ويعلق إخوان الصفاء أنفسهم أهمية عظمى على فكرة الأخوة، ويجعلون منها أساسا للصلة والمحبة وعماد الصلاح البلاد، وذلك بقولهم "الصداقة أس الأخوة، والأخوة أس المحبة، والمحبة أس إصلاح الأمور، وإصلاح الأمور صلاح البلاد.[2]

* عادل العوا فيلسوف أخلاقي عربي من أهم الفلاسفة العرب في القرن 20 صاحب فضائل كثيرة في الفلسفة العربية من مؤلفاته إخوان الصفاء.

1- مختاري العيد، الإنسان من خلال كتاب إخوان الصفاء، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 21.

2- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (2)، الجسمانيات الطبيعيات، دار صادر، بيروت، د.ت، ص328.

وأن من طالع رسائل الإخوان وجدهم من أشد الناس ثقافة واجتماع كلمة وصفاء وإخلاصا، قال أبو حيان التوحيدي، واصفا أحدهم وهو زيد بن رقاعة* "هناك ذكاء غالب وذهن وقّاد، ومتسع في قول النظم والنثر، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة وحفظ أيام الناس، وسماع المقالات، وتبصر الآراء والديانات وتصرف في كل فن "إما بالشدّ الموهم، وأما بالتوسط المفهم، وإما بالتناهي المفحم".[1]

– أما إخوان الصفاء أنفسهم فقد أشاروا إلى أن الصفاء يعني النقاء والصفاء من شوائب التغيير والاستحالة، وأن من عدم هذه الصفة لا يكون من إخوان الصفاء واعلم يا أخي أن حقيقة هذا الاسم أي اخوان الصفاء هي الخاصة الموجودة في المستحقين له بالحقيقة لا على طريق المجاز، وأعلم يا أخي أيد الله تعالى، "أنه لا سبيل إلى صفاء النفس إلا بعد بلوغها، حد الطمأنينة في الدين والدنيا جميعا...[2]

وهي أن يعرف الإنسان ــبحسب قدراته و بلوغ استطاعتهــ، توحيد الله جلَّ جلاله والمعرفة بحقائق الموجودات وغرائب المكونات، بإذن الله تعالى باريه الذي خلقه وأبدعه ويراه وعبادته وتمجيده، عما يجده في مخلوقاته ويشاهده في مصنوعاته، وبعد ذلك ما يكون به صلاح معيشة الدنيا

* زيد بن رفاعة أحد مؤلفي رسائل إخوان الصفاء، كان في الري وأقام بالبصرة زمن طويل ومن كتبه جوامع اصلاح المنطق.

1– حنا الفاخوري، تاريخ الفلسفة العربية، مرجع سبق ذكره، ص227، 228.

2– رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (4)، العلوم الناموسية الإلهية والشرعية الدينيــة، دار صــادر، بــيروت، د.ت، ص328.

والغنى عن الحاجة فيها إلى من عدم هذه الصناعة، ومن لا يكون كذلك فليس هو من أهل الصفاء لأنه لو كان من أهل الصفاء لكان بصفائه عمن دون الغنى. [1]

والصفاء هو أيضا يحصل إذا استطاع الإنسان أن يحقق التوازن بين قواه الروحية، وقواه المادية، والتقلب على الشهوات الجسدية، بالتركيز والنشاط والسمو بالنفس، وهذا ما يفهم من خطاب إخوان الصفاء، للإخوان حيث يقولون:

"واعلم يا أخي أن حقيقة الصفاء أيضا هي أن لا يغيب على النفس الصافية الزكية شيئا من الأشياء التي بها الحاجة إليها، لما قد بليت من مداواة هذا الجسم من مقاساته، وبالصفاء تتهيأ لها الراحة منه أو البعد عنه، بحيث لا تكون نازلة إليه ومشتاقة إليه، وقد ذكرنا أنه بمعرفة العلوم اللطيفة والمعارف الشريفة، يتهيأ للإنسان ما يكون به صلاح أمر جسمه في دنياه صلاح أمر نفسه في عقباه في دار الآخرة..."[2].

وهنا نجد أن هذين النصين المتعلقين بفكرة الصفاء أساسا عند إخوان الصفاء يبرزان ما يلي:

- البحث عن التعاون الإنساني.
- التكامل بين النفس ومداركها المعرفية.
- الاعتدال بين القوى الروحية والمادية في الإنسان.
- الربط بين صلاح النفس وصلاح الجسد.

1- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (4)، مصدر سبق ذكره، ص 412-413.

2- المصدر نفسه، ص 412.

من هم إخوان الصفاء:

كل ما وصلنا عن أفراد هذه الجماعة من خلال رسائل إخوان الصفاء، هو أنهم أشخاص عديدون من مختلف الفئات والطبقات، دون تحديد الأسماء هؤلاء الأشخاص ولا لأسماء بعضهم على الأقل فهم يقولون في الرسالة الثامنة والأربعين «أن لنا إخوان وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم، متفرقين في البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتاب، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين، والتجار ومنهم طائفة من أولاد الضاع والمتصرفين، وأمناء الناس »[1].

الطائفة: هي الجماعة وتطلق على جماعة من الناس يجمعهم مذهب واحد، أو رأي واحد، أو مصلحة مشتركة، أو معتقد واحد، كالطوائف الدينية[2].

زمان إخوان الصفاء :

هنا نود أن نحدد الفترة التي مارس فيها إخوان الصفاء نشاطهم ووضعوا فيها رسائلهم أن نستعرض أراء الكثير من الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع بالبحث:

لقد اختلف الباحثون في تحديد الزمن الذي وضع فيه إخوان الصفاء رسائلهم :

1- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (4)، مصدر سبق ذكره، ص 412ـــ413.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص 7.

ذهبت الاسماعيلية إلى أن تأليف الرسائل يرجع إلى أوائل القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث الهجري، وهو الوقت الذي عاش فيه الأئمة الذين نسبت إليهم كتابة هذه الرسائل وقد اعتمد هؤلاء في ذلك نصوص متضاربة ومتأخرة. [1]

يرى محمد فريد، وكذلك شيدر أن إخوان الصفاء من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث هجري، ويذهب حجاب إلى أن ظهور الجماعة كان في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث هجريين، وبدأوا في تحرير الرسائل منذ تلك الفترة، ولكن ربما لم تأخذ شكلها الحالي إلا فيما بعد.[2]

يقول كازانوفا أن الرسائل أُلفت في الفترة الواقعة بين (418-ـــ427ه) معتمدا في ذلك على تحليل بعض الظواهر الفلكية التي تشير إليها الرسائل.

أغلب البحثين الذين كتبوا عن إخوان الصفاء يحددون زمنهم بالقرن الرابع هجري ومنهم من يحدده أكثر، ويرى أن الرسائل أُلفت في القرن الثاني من هذا القرن .[3]

أما عمر الدسوقي* فذهب إلى أن نشاط إخوان الصفاء يقع بين سنة (334ه) سنة دخول البويهيين العراق وسنة (337ه)(983م) انطلاقا من أن البويهيين خلقوا الظروف والأجواء المناسبة

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص 56.

2- محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1982 م، 49 .

3- دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام، ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، ط 5، ص 111.

* عمر بن ابراهيم دسوقي عبد الله العربي، ولد بمصر، من مؤلفاته المسرحية –إخوان الصفاء.

لظهور الاتجاهات الشيعية أو المتعاطفة معها، وإلا فإن الإخوان لم يتجرؤوا على إظهار رسائلهم قبل هذا التاريخ.[1]

وبناءً على ذلك نستطيع ان نقول « أن الجمعية ربما تأسست قبل النصف الثاني من القرن الرابع هجري ، ثم بدأ التأليف في مواضيع الكتاب بشكل رسائل واستغرق ذلك عدة سنوات ».

وبذلك تأكد لدينا ان الرسائل لم تؤلف في القرن الثاني أو الثالث بل كتبت في القرن الرابع هجري، كذلك ثبت انها ليست من نتاج القرن الخامس لأن إخوان الصفاء ورسائلهم كانا مدار الحوار بين أبي حيان التوحيدي والوزير ابن سعدان، وكان ذلك سنة (374ه)(984م) كما مرَّ آنفا.[2]

مكان إخوان الصفاء :

لا نجد في رسائل خوان الصفاء ما يدل صريحا على تحديد مقر هذه الجماعة ومكان تأسيس جمعيتهم، فكل ما لدينا هو كلام أبي حيان التوحيدي، و إذا كنا مطمئنين إليه في معرفة مؤلفي الرسائل وزمانهم، فنطمئن إلى قوله: « إنها نشأت بالبصرة، فقد جاء في كلامه كما مر عن زيد بن رفاعة، أقام بالبصرة زمانا طويلا وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويُعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي ابن هارون الزنجاني، وأبو أحمد المهرجاني،

1– فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم ، دار المدى للثقافة و النشر، ط 1 ، 1998، سوريا، دمشق، ص 60 .

2– المرجع نفسه، ص 64ــ65 .

وألبو حسن العوفي وغيرهم [1] ... ووضعوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرسا وسموها « رسائل إخوان الصفاء » وكتموا فيها اسماءهم» [2]

هذا ليس بغريب عن البصرة فهي بحكم موقعها الجغرافي ، كانت ملتقى رجال الشرق والعرب و الفرس والهنود والزرادشتين، والنصارى واليهود والدهريين والصائبة، فمنذ تأسيسها أيام عمر ابن الخطاب باتت اكبر ملتقى لمختلف الفروع الثقافية، ففيها نشأ حسن البصري وواصل ابن عطاء زعيم المعتزلة، وفيها النظام الذي خلط الدين بالفلسفة، وفي البصرة قام الأشعري يتنصل من الاعتزال بالبصرة حلقات للعلم من كل فن وخف وفيها ظهر النحاة والأدباء وأئمة اللغة مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي*، وسيبوية، حتى باتت مدرسة مشهورة لا يزال اسمها يتردد على ألسنة الدارسين.[3]

يؤكد عمر الدسوقي: أنه لا خلاف في أن الإخوان ظهروا بالبصرة، واتخذوها مركزهم الرئيسي، ومنها انتشر دعاتهم في مختلف الأمصار والبلدان، وأوجدوا لهم أنصارا في مواطن عدة ينشرون مذهبهم بطرق سرية منظمة.[4]

1– منال إسماعيل عجوب، الإنسان و الأدب في رسائل إخوان الصفاء، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق 2010، ص 43ـ44.

2– انظر هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية، د.م، ط 2، د.ب، 1998، ص 209ـ210.

* الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (100هـ-170هـ/718-786م) من أئمة اللغة والأدب من مؤلفاته كتاب الشواهد، العروض.

3– دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص55-56.

4– محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص56.

إن البصرة والعراق بصفة عامة، توفرت فيها ظروفا نتيجة الاختلاط، أسست لمقاييس خاصة التي على أساسها ينظر إلى الإنسان ويعتبر المكان والزمان معطيين هامين، في تحديد تلك المقاييس، فالعراق في القرن الرابع الهجري يشكلان منعطفا مهما في الحضارة العربية الإسلامية.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية والاجتماعية في القرن الرابع الهجري.

الوضع السياسي:

إن الحديث عن الوضع السياسي للقرن الرابع الهجري، نجد أنه تناقضت فيه حياتهم العامة أشدّ التناقض، فكانت سيئة، أشدّ السوء، من ناحية، إذ انحل سلطان الخلافة في بغداد وأصبح العالم الإسلامي في هذا العصر ميدانا للتنافس وازدحام الأهواء والشهوات والانسياق إلى مظاهر الفوضى والاضطراب، وصلحت فيه من ناحية أخرى حياتهم العقلية صلا حًا لم يعرفوا له مثيلاً، فازدهر الشعر والنثر ونضج العلم والفلسفة ونمت علوم اللغة وفنونها.[1]

فكان التنافر السياسي والفكري على أشده ولا سيما بعدما عصفت بالخلافة الإسلامية أيدي الحدثان، وتقسمها أمراء وملوك و لم يبق للعباسيين إلا بعض النفوذ، ولقد أصبح في الإسلام ثلاثة خلفاء في وقت واحد، أحدهم في العراق والثاني في شمال إفريقيا والآخر في إسبانيا ودارت الإمارات الصغيرة في فلك هؤلاء مستوحية في ولائها مصلحة الأسرة الحاكمة ...[2]

– وقد بلغ التمزق مداه في القرن الرابع الهجري قيام عدة دول ذات سيادة فعلية نجد:

1– أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج1، كلمات عربية للنشر والترجمة، د.ط، د.ب، 2013، ص25.

2– منا ل إسماعيل عجوب، الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفاء، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص32. للمزيد أنظر: أحمد عبد الهادي، أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1997، ص 80.

1- الخلافة الأموية في الأندلس(138-397هـ=705-1007م) وهي في ازدهار وتقدم، وحينها عرف عبد الرحمن الداخل دام حكمه من (300إلى350هـ) ما وصلت إليه الخلافة في بغداد من ضعف ووهن تلقب بأمير المؤمنين.

2- الخلافة الفاطمية في المغرب، أسسها عبد الله المهدي على أنقاض دولة الأغالبة والأدارسة(297ه-909م) وطمعوا في مصر ثم نالوها(358ه-969م).

3- الدولة الأخشيدية في مصر من سنة 323 إلى 358ه (935-979م).

4- الدولة الحمدانية في حلب والجزيرة الفراتية.

5- الإمارة الحسنوية الكردية في كردستان منذ سنة 330ه إلى نهاية القرن.

6- عمان والبحرين واليمامة وبادية البصرة كانت بيد القرامطة.

7- فارس والأهوان والجبل والزَّي يحكمهما أل بويه.

8- خراسان وما وراء النهر بيد آل سامان.

9- الهند وأفغانستان يسيطر عليهما آل سبكتكين.[1]

رغم هذا الانقسام فقد كانت الخطبة في أكثر هذه البلاد للخليفة العباسي، وهو أن جُرد من نفوذه المدني من قبل قادة الجيش الأتراك في بغداد والبويهيين فيما بعد، إلا أن نفوذه الديني بقي كإشارة للخلافة الإسلامية في المشرق، على الأقل.

1- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص24-25.

وهنا نجد أن كل أسرة بذلت جهودها للعمل على توسيع رقعة نفوذها، والتضييق عل خصيمتها، فبثت الدعاة ونثرت الأموال، وشجعت الثائرين في البلدان المجاورة لها.[1]

كما نجد انتشار الفلسفة اليونانية انتشارا واسعا في القرن الرابع الهجري، وكثرة الفرق الإسلامية من أهل الحديث والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج التي حاولت نشر دعوتها بمختلف الوسائل وهذا ما ترتب عليه: ظهور مذاهب تجمع في آن واحد بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية.

وفي هذا الإطار ظهرت رسائل إخوان الصفاء التي كانت تجمع بين مذهب الشيعة والمعتزلة من جانب وبين ثمرات الفلسفة اليونانية من جانب آخر.[2]

ولكن هذه الظروف والسمات التي تميز بها القرن الرابع الهجري، والتي استند إليها بعض الباحثين كما رأينا لإثبات ظهور إخوان الصفاء في ذلك العصر، و لم تكن وقفًا على القرن الرابع الهجري، فلو عدنا إلى العصور السابقة لهذا العصر، سنرى ما يشابه هذه الظروف والتناقضات والانقسامات.

حيث كان العالم الإسلامي مظهرا من أعظم مظاهر البلبلة والاضطرابات، حيث تناقضت فيه حياة المسلمين العامة وسادت فيه الفوضى والترف والشهوات والفساد والظلم والتعسف، وتسارع

1– محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، د.ب، 1982، ص34.

2– دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، ط5، د.ب، د.س، ص111-114.

الناس إلى المال والجاه والمجون، واشتدت الضائقة الاقتصادية، وساء نظام الحكم، وكثرت الفتن المذهبية وأزهقت النفوس البريئة، وتصارع التيارات الفكرية والمذهبية.[1]

وإذا لا يمكن الاعتماد على تلك الحجة لتعليل ظهور إخوان الصفاء في القرن الرابع الهجري "وخاصة إذا علمنا أن انقسام الدولة العباسية قد بدأ قبل حلول هذا القرن بكثير، حيث يذكر التاريخ ظهور انظمة حكم مناوئة لهذه الدولة، أو مستقلة عنها في سياستها وذلك خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين...".[2]

الوضع الاجتماعي:

نتاول في هذا الجزء أبرز الظواهر التي كانت تتحكم في المجتمع العباسي.

آنذاك وهي الخصومات المذهبية، التعصب القومي، والانحلال الخلقي.

- **الخصومات المذهبية:**رغم أن بداية الخصومات المذهبية كانت أيام الإمام علي رضي الله عنه.

كما ظهرت من خلال المزج بين ثقافاتهم السابقة وبين الدين الإسلامي الذي اعتنقوه فرق جديدة، ونتيجة لهذه الاختلافات في الرأي واختلاف الخلفيات الثقافية والفكرية وتضارب الأهواء والمصالح...إلا أنها في العصر الأموي كانت بداية الاضطهاد الفكري.

1- منال إسماعيل عجوب، الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفاء، مرجع سبق ذكره، ص32-33.

2- محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص33.

وفي عهد المأمون والمعتصم والواثق، اضطهدت المعتزلة كل من لم يوافقها الرأي، حتى ان إيماما "كأحمد بن حنبل*" ضرب بالسياط إلى أن سال منه الدم، لأنه لم يشارك المعتزلة القول بخلق القرآن.[1]

لم يعد هذا الصراع المذهبي في القرن الرابع الهجري، محصورا بين العلماء أو بينهم وبين السلطة الحاكمة المتدخلة دوما لنصرة رأي معين يخدمها، وضد الرأي المخالف لذلك، بل اتسعت دائرته، ودخل فيها العامة من الناس وأخذ الطابع العنف، فقد اشتد في بداية هذا القرن، اضطهاد الحنابلة لكل من يخالفهم، فمن حين لآخر كانوا يقومون بأعمال الشغب، ومن بين ما يذكره ابن الأثير في حوادث عام (306ه) أنه "وقعت فتنة بين العامة والحنابلة، فأخذ الخليفة جانبا منهم، وسيرهم إلى البصرة وحسبوا"[2]

وأن "ابن جرير الطبري*"، لما توفي سنة (310ه-923م) دفن ليلاً في داره، لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهارا، وأدعوا عليه الرفض والإلحاد والسبب في ذلك أنه ألف كتابا ذكر

* أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (164-241هـ/780-855م)، فقيه مسلم كان معروفا بالأخلاق الحسنة كالصبر من مؤلفاته: سؤالات أبي داوود.

1- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج1، كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ط، مصر، 2013، ص180.

2- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص25-26.

* محمد بن جرير الطبري (224-310هـ/839-923م) من أئمة المسلمين مؤرخ ومفسر، من مؤلفاته: جامع البيان، آداب النفس.

فيه اختلاف الفقهاء، و لم يذكر فيه "أحمد بن حنبل" فلما قيل له في ذلك قال: "أنه لم يكن فقيها، وإنما كان محدثًا" فأشتد ذلك على الحنابلة فوقفوا منه هذا الموقف.[1]

ولما توفي الأشعري ودفن طمس قبره، خوفا عليه، لئلا تنبشه الحنابلة وتمرقه، فإنهم عزموا على ذلك مرارًا عديدة، ومعظم الحنابلة يحكمون بكفره، ويستنحون دمه ودم من يقول بقوله.

و لم يكن هذا الاختلاف المذهبي ليقف عند المناقشة والجدل، بل كان يصل إلى استخدام السواعد، وما تستطيع السواعد أن تحمله، وربما كان ذلك لمجرد اختلاف حول تفسير آية قرآنية، وإن لم تمس أصلاً من أصول العقيدة الإسلامية، فالحنابلة كانوا في هذا العصر يحاربون على عدة جبهات:

جبهة الشافعية لم يكونوا أقل منهم شدة في الرد عليهم، وكما يقول المقدسي فالشافعية أشد الفقهاء، قدرة على النظر والشغب.

جبهة المتكلمين بمن فيهم المعتزلة وجبهة الشيعة، وكذلك كان الصراع بين الحنفية والشافعية حتى آل الأمر في بعض الأحيان إلى الخراب والدمار نتيجة ذلك.[2]

كان يصاحب هذا الصراع المذهبي في ذلك العصر، قيام بعض الدعوات الغربية كالدعوة القراقرية القائلين بأن أرواح الأنبياء والصّدقيين حلت فيهم وكذلك دعوة الشلمغاني، فقد ادعي

1- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج1، مرجع سبق ذكره، ص185.

2- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج2، مرجع سبق ذكره، ص80.

النبوة وأحدث مذهبا مداره حلول الألوهية والتناسخ وأتبعه أناس كثيرون، منهم الحسين بن قاسم وزير المقتدر وشخصيات أخرى مرموقة.[1]

أما الظاهرة الثانية البارزة في ذلك العصر فهي:

التعصب القومي: كان الصراع القومي في هذا القرن دائر بين:

العرب: وهم يعتزون بتاريخهم كقبائل مستقلة قاومت المحتلين، وبمزاياهم وخصائصهم، وأن محمد صلى الله عليه وسلم منهم، وأن الإسلام نشأ بينهم وأن القرآن نزل بلغتهم.

الفرس: وهم يعتزون بتاريخهم كإمبراطورية واسعة الأرجاء، وشعب ذي حضارة موغلة في القدم، بأن الدولة العباسية مدينة لهم بنشأتها وقوتها وتطورها.

الترك: وهم يفتخرون بقوة أجسامهم وبأسهم في الحرب وبأنهم حماة الخلافة السنية من تآمر الشيعة والفرس عليها.[2]

ويقيم أحمد أمين* ذلك الامتزاج بأن له ميزات إيجابية على المستوى الثقافي والتنوع على مستوى التلاقح الفكري، مما طبع الحياة الثقافية بالاختلاف في الرأي وبالتأليف النقدي "أما من الناحية العقلية فقد كان العصر متقدما حقا، تم فيه امتزاج الثقافات، هؤلاء الفرس والهنود يثقفون الثقافة العربية وينتجون فيها، وهؤلاء السوريانيون يغرقون البلاد بالثقافة اليونانية، وهؤلاء الخلفاء

1- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغاياتهم، دار الهدى للثقافة والنشر، ط1، سوريا، 1998، ص 28.

2- أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، د.ط، القاهرة، 2003، ص59-60.

* أحمد أمين باحث ومفكر مصري (1887-1974م) من مؤلفاته: فيض الخاطر، فجر الإسلام، زعماء الإصلاح.

يشجعون الطب والتنجيم، أولا لحاجتهم إليها، ثم ينفذ منها العلماء إلى أبواب الفلسفة الأخرى، من طبيعيات ورياضيات وإلهيات، ويعكف العالم الإسلامي، على دراستها في صدق واخلاص، ويقتبس علماء كل علم من الفلسفة اليونانية ليفلسفوه من دين ونحو وصرف وبلاغة وغير ذلك، هذا عدا الفلسفة نفسها، ونشطت حركة الترجمة من اليونانية إلى السريانية إلى العربية نشاطا غريبا، حتى إن ثبت الكتب المترجمة عن اللغات المختلفة وعن اليونانية خصوصا..."[1].

لم يكن لهذا الامتزاج الاجتماعي خاصية الصراع العنيف، ولا العصبية المقيتة، وإنما سما إلى درجة الإبداع والتأليف بين الثقافات ترجمة ودراسة، بل سما إلى درجة التسامح والتعايش الفكري والثقافي، لأن القرن الرابع الهجري تميز بمجموعة من الخصائص ذات الصلة بما حصل على المستوى الاجتماعي.

ولعل ظاهرة الشعوبية تمثل أحسن تمثيل، حيث جسدت المثل العليا في تقييم الإنسان من خلال النقاش في تحديد قيمته.

النزعة الأولى كانت إلى جانب أن العرب خير الأمم ولهم في ذلك حجج:

- أن لهم صفات خلقية امتازوا بها.

- أنهم عاشوا حياتهم متمتعين باستقلالهم.

- بينهم نشأ الإسلام...وهم الناشرون له بين الأمم.

1- أحمد أمين ضحى الإسلام، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 11.

أما الظاهرة الثالثة التي تميز بها هذا العصر فهي:

الانحلال الخلقي: وهنا تقتصر على ذكر لمحات أساسية من بعض مظاهر الانحلال:

أ- **نكث العهد:** لم يكن للعهد في هذا القرن كثير الإحترام، فقد نجد الخليفة والأمير يخلف كل منهما الآخر، ولكن في الوقت نفسه يفكر كل منهما عن طريق مضمون للتخلص من صاحبه، وكذلك بالنسبة لقادة الجيش فيما بينهم.[1]

- **الرشوة:** باتت الرشوة في عرف المسؤولين أمراً مشروعاً، فكان لكل وظيفة سعرها، حتى الخلافة كان لها ثمنها المحدد، كما نجد القضاة المفروض هم حماة العدالة، جرفهم تيار الرشوة، فكان منهم من يجمع الألوف من الدنانير في فترة توليه القضاء.

- **السلب والنهب واللصوصية:** ما كان يقوم به الجيش من أعمال السلب والنهب لبيوت الناس والأسواق في مناسبات كثيرة.

- انتشار عصابات السرقة في مدينة بغداد بصورة خاصة وما يؤسف عليه هو أن هؤلاء اللصوص كانوا يجدون الدعم والحماية من كبار رجال الدولة.

- فتح دور للملاهي ويتاجرون بالعشق والغرام...[2]

كما انتشرت في تلك الفترة ظاهرة الشذوذ الجنسي والتغزل بالغلمان.

1- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص30.

2- المرجع نفسه، ص31-32.

المبحث الثالث: مصادر فلسفة إخوان الصفاء.

تأثرت رسائل إخوان الصفاء بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية، وكانوا يأخذون من كل مذهب بطرف ولكنهم لم يتأثروا على الإطلاق بفكر الكندي* واشتركت مع فكر الاسماعيليين والفارابي* في نقطة الأصل السماوي والأنفس وعودتها إلى الله وكانت فكرتهم عن منشأ الكون يبدأ من الله ثم إلى العقل ثم إلى النفس ثم إلى المادة الأولى ثم الأجسام والأفلاك والعناصر والمعادن والنبات والحيوان فكان نفس الإنسان من جهة نظرهم جزءً من النفس الكلية التي بدورها سترجع إلى الله ثانية يوم المعاد[1].

الموت عند إخوان الصفاء يسمى البعث الأصغر بينما تسمى عودة النفس الكلية الى الله البعث الأكبر، وكان إخوان الصفاء على قناعة أن الهدف المشترك بين الأديان والفلسفات المختلفة هو أن تتشبه النفس بالله بقدر ما يستطيعه الإنسان[2].

يذهب إخوان الصفاء إلى أن الأديان كلها في جميع العصور وعند جميع الناس يجب أن تتفق وهذه الحكمة وغرض كل فلسفة وكل دين هو أن تتشبه النفس بالله وقد أولوا القرآن تأويلا رمزيا لكي يتمشى مع هذا التصور بقدر ما يستطيعه الإنسان الروحي للأديان.

---

* أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي (185-805هـ/256-873م) علامة عربي مسلم، عاش في البصرة، من مؤلفاته: الحث عن تعلم الفلسفة.

* أبو نصر محمد الفارابي (260هـ/874م) توفي (339هـ/950م)، فيلسوف مسلم اشتهر بإتقان العلوم الحكيمة، من مؤلفاته: الجوهر.

1- مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، ط 1، الأردن، عمان، 2009، ص 44 .

2- المرجع نفسه، ص 44.

كما أنهم تأثروا بمصادر أرسطو* فنهلوا منها الكثير من الآراء بل من العناوين الأصلية كما هو الشأن في المعرفة الإنسانية فيما يخص "الحاس والمحسوس" وهو مذهب اهتم به أرسطو.

أو فيما يخص الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان، الواردة في كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو " انظر الرسالة الخاصة في بيان الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان وما فيها من المعاني إذا أُضيف بعضها إلى بعض".[1]

وهنا يمكن القول أن هيمنة الفلسفة اليونانية على تفكير إخوان الصفاء بارز من خلال القضايا الفلسفية الكبرى، وهذا ما نجده عند الكثير من مفكرينا ولهذا فالتحليل الفلسفي والمقاربة المنهجية لمضامين النصوص ندرك تصور الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو وبشكل استثنائي حضور فيثاغورس* وهذا ما نجده في قولهم : « أن فيثاغورس كان رجلا حكيما موحدا من أهل حرّان وكان شديد العناية بالنظر في علم العدد وكيفية نشوئه، كثير البحث عنه وعن خواصه ومراتبه ونظامه، وكان يقول : أن في معرفة العدد وكيفية نشوئه من الواحد الذي قبل الاثنين معرفة وحدانية الله»[2]

وهنا نجد أن إخوان الصفاء اقتبسوا من فلسفة الفيثاغوريين في العدد ولذلك نجدهم أعطوا بشكل فصلا كاملا في رسائلهم لذلك.

---

* أرسطو (384 ق م – 322 ق م) فيلسوف يوناني من عظماء المفكرين، من مؤلفاته: الفيزياء، الميتافزيقا، علم الأحياء.

1– رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مرجع سبق ذكره، ص5 ، لمزيد من التفصيل انظر الصفحات من 5 إلى 17 .

* فيثاغورس (570–495ق م) فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، اهتم بالعدد، ولد في جزيرة ساموس.

2– رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (3)، الجسمانيات والطبيعيات والنفسانيات والعقليات، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 200.

أما ما يخص الكلام عن الشرائع والأديان، فهي واضحة كل الوضوح من خلال النص الذي يرسم فيه إخوان الصفاء مصادر منابع تفكيرهم ففي ذلك يقولون أنهم مسلمون موحدون رغم ميلهم إلى توحيد كل الديانات السماوية في إطار الفلسفة.

وبالجملة ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى أن لا يعادوا علما من العلوم أو يهجروا كتابا من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها، وذلك أنه هو النظر في جميع الموجودات بأسرها الحسية والعقلية، من أولها لآخرها ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، بعين الحقيقة من حيث هي كلها من مبدأ واحد و علة واحدة وعالم واحد، ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة وأجناسها المتباينة وأنواعها والمفنّنة وجزئياتها المتغايرة.[1]

وقد ذكر الإخوان أحد المصادر الأساسية لرسائلهم فقالوا : «إن علومنا مأخوذة من أربع كتب أحدها الكتب المصنّفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة من الرياضيات والطبيعيات والآخر الكتب المترلة التي جاء بها الأنبياء صلوات الله عليهم، مثل التوراة والإنجيل والفرقان وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة وما فيها من الأسرار الخفية، والثالث الكتب الطبيعية وهي صور أشكال الموجودات بما هي عليه الآن تركيب الأفلاك و أقسام البروج، وحركات الكواكب ومقادير أجرامها، وتصاريف الزمان، واستحالة الأركان، وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات وأصناف المصنوعات على أيدي البشر ، كل هذه صور و كنايات دالات على

1– رسائل إخوان الصفاء، (ج4)، مصدر سبق ذكره، ص 41ـــ42. أنظر مجلة العرب الدولية، إخوان الصفاء...البصرة قبل ألف عام، 2012/10/5، ص 4.

معاني لطيفة [1]، والنوع الرابع الكتب الإلهية التي لا يمسها إلاّ المطهرون التي هي بأيدي سفرة كرام بررة، وهي جواهر النفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها»[2].

ومن الملاحظ أيضا نجد أن إخوان الصفاء تأثروا بمختلف العلوم كاعتمادهم على كتب الأدب، ككتاب كليلة ودمنة لابن المقفع –قصة الحمامة المطوقة–

وهنا نجد أنّه لم يكن الهدف من إبراز الأثر الأجنبي في فلسفة الإخوان بقدر ما كان الامتزاج والتزاوج بين عناصر الفلسفات الأجنبية وبين الفلسفة الإسلامية و سوف يتضح هذا الامتزاج في فلسفة الإخوان حول الأعداد و الرموز تحمل الأثر الفيثاغوري كما أشرنا سابقا ، وفلسفتهم حول نظيرة الفيض و مركز الإمام في هذه النظرية تبرز أثر أفلاطون والأفلاطونية المحدثة ، وفلسفتهم حول الإنسان الكامل تشبه حد كبير فلسفة أفلاطون حول الحاكم الفيلسوف و فلسفتهم حول ظهور دولة أهل الخير على أنقاض دولة أهل الشر تظهر أثر فلسفة التناسخ عند الهنود. [3]

1– حنّا الفاخوري ، خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية، ج 1، ص 235–236، أنظر محمد حجاب الفلسفة السياسية، ص90–91.

2– أنظر، يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية و أعلامها، الشركة الشرقية للمطبوعات، ط1 ، 1986، ص70.

3– محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسة عند إخوان الصفاء ، مرجع سبق ذكره، ص 16.

الفصل الثاني

حقيقة الإنسان عند إخوان الصفاء

تمهيد :

المبحث الأول : مكانة الإنسان عند إخوان الصفاء.

المبحث الثاني : ثنائية النفس والجسد.

المبحث الثالث : النفس عند إخوان الصفاء.

تمهيد :

أولى إخوان الصفاء الإنسان أهمية بالغة في رسائلهم، فدرسوه من مختلف جوانبه "الإنسية"* "الأنثروبولوجية " والحيوية والطبيعية من خلال التعمق في دراسة الجسد ونشوئه وأصله وخواصه، ومن ثم العمق في الجانب الروحانيى ودراسة النفس الإنسانية ومعرفة العلاقة بينهما وبين الجسد إذ يُطلق اسم الإنسان على هذين الجوهرين المختلفين في الطبيعة والمنشأ والصفات كما تعمقوا في دراسة الجوانب العملية والسلوكية في حياة الإنسان، ومن خلال تبنيهم منهجا تربويا وأخلاقيا ينظم وجود الإنسان ويرتقي به إلى اسمى المراتب إلى ضرورة تهذيب نفسه وتأديبها بالعلوم والمعارف، وإلى معرفة واجباته اتجاه المجتمع ، ويتجلى ذلك في سلوكه الاجتماعي من خلال علاقته بالآخرين التي تحدد معرفته لذاته.

وينطلق الإخوان في ذلك كله بإيمانهم أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض فسعوا إلى الوصول إلى هذه الحقيقة والبرهان عليها في رسائلهم كلها، إذ يوضحوا لنا أن الإنسان عالم صغير يجمع كل خصائص العالم الكبير و صفاته، وعلى الإنسان أن يعرف نفسه، ويفهم حقيقة وجوده ليتمكن من معرفة ذلك العالم بأسره ويعرف المكانة الكبيرة التي خصّ بها من بين الكائنات كلها، والموجودات وقد ارتبط الوجود الإنساني عند إخوان الصفاء بوجود العالم، ولذلك فإننا سندرس رأيهم في كيفية حدوث العالم لنبين موقع الإنسان فيه ومكانته ومرتبته.

* الإنسية (انسانية) جملة من الصفات التي تكون الفصل النوعي للإنسان. أنظر: مراد وهبة، ط2، القاهرة، 1971، ص 31.

المبحث الأول : مكانة الإنسان عند إخوان الصفاء.

تعريف الإنسان عند إخوان الصفاء

قدم إخوان الصفاء تعريفات عديدة للإنسان « كان الإنسان هو جملة مجموعة عن جوهرين مقرونين، أحدهما هذا الجسد الجسماني الطويل العريض العميق المدرك عن طريق الحواس، والآخر هذه النفس الروحانية العلامة المدركة بطريقة العقل[1]... « مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية، وهما جوهران متباينان في الصفات متضادان في الأحوال، ومشتركان في الأفعال العارضة والصفات الزائلة ... »

وكما أشاروا إلى قول الحكماء في حدّ الإنسان «إنه حي ناطق مائت، فقولهم حي ناطق يعنون به النفس، ومائت يعنون به الجسد، لأن اسم الإنسان هو جملة مجموعة منها، أعني جسدا جسمانيا ونفسا روحانية ...»[2].

مرتبة الإنسان بين الموجودات :

أفاض إخوان الصفاء في الحديث عن تطور الكائنات وارتقائها، فألموا بمختلف الجوانب التي تتعلق بأجناس الكائنات وأنواعها، وكيفية تطورها ونشوئها، واختلاف مراتبها ودرجاتها ضمن النوع الواحد، وبينوا حدوث العالم ونشوء الحياة ووضعوا علاقة العالم الروحاني بالعام الجسماني من خلال الفيض والإبداع ومن ثم الخلق وأثبتوا أن المولدات "الكائنات" من المعادن والحيوان والنبات نتجت

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص 458.

2- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص 242.

عن اختلاط بعض الأركان ببعضها الأخرى وأنه قد تم تكونها وظهورها عن طريق الارتقاء من الأدون إلى الأعلى، فظهر المعدن أولاً ثم النبات فالحيوان وبذلك يكون المعدن مادة أساسية لتكوّن النبات، ويكون المعدن والنبات مادة لتكون الحيوان، ويتم الارتقاء في جنس الحيوان من الأدنى إلى الأشرف حتى يصل إلى أرقى الكائنات وأشرفها وهو الإنسان " الذي يضعه الفكر العربي الإسلامي "... مركز الوسط بين الله وبقية الكائنات فهو يحتل قمة الهرم الذي يوجد في أسفله العناصر الأربعة التي تدخل في تكوين كل ما يأتي فوقها الجماد فالنبات فالحيوان وهي كلها تختلف عن الإنسان في أنها لا تملك العقل الذي فضل به الله الإنسان، عندما جعله بفضله، خليفة على الأرض وسخّر الكائنات لخدمته...."[1].

اهتم إخوان الصفاء بمعرفة موقع الإنسان ومرتبته بين الموجودات فأشاروا إلى "أن الموجودات كلها نوعان جسماني وروحاني، فالجسماني يدرك الحواس والروحاني يدرك بالعقل، ويتصور بالفكر فأما الجسماني فهو ثلاثة أنواع منها الإجرام الفلكية ومنها الأركان الطبيعية ومنها المولدات الكائنة، والروحاني أيضا ثلاثة أنواع منها الهيولى الأولى الذي هو جوهر بسيط منفعل معقول قابل لكل صورة، والثاني النفس التي هي جوهرة بسيط مدرك حقائق الأشياء، وأما الباري عز وجل فليس يوصف لا بالجسماني ولا بالروحاني بل هو علّهّا كلها.."[2].

وبما أن الإنسان كائن أرضي فتهم دراسته، ومعرفة موقعه ومرتبته الجماعية في العالم الحيواني في إطار معرفة الموجودات الجسمانية، ومعرفة أجناس الأجسام الأرضية، فيرى إخوان الصفاء "أن

1- منال إسماعيل عجوب، الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفاء، مرجع سبق ذكره، ص 99.

2- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص 393.

الأجسام التي تحت فلك العمر سبعة أجناس أربعة منها هي الأمهات الكلّيات وهي النار والهواء والماء والأرض وثلاثة هي المولدات الجزئيات وهي الحيوان والنبات والمعادن...[1].

– خلق الحيوانات تامة الخلقة وصولاً إلى الإنسان:

صنف إخوان الصفاء الحيوانات وقسموها إلى أنواع بحسب درجات تطورها، وتعقيد أبدانها، و لم يقفوا عند هذا الحد، بل بينوا ما وُهب كل نوع منها من مزايا وصفات تتناسب مع خلقها ودرجة رقيّها وذلك بدءًا من أبسطها حتى أعقدها، وهو الإنسان صاحب العقل والفكر، وأشاروا إلى خلق الحيوانات ونشوئها ولاسيمَّا التَّامة الخلقة بما فيها الإنسان.[2]

و لم يغفل إخوان الصفاء البحث عن معرفة كيفية خلق الإنسان ومما يلفت النظر هو تحديدهم للمكان أو المنطقة التي تمت فيها عملية الخلق، ومن ثم نشوء عالم الحيوانات التامّة الخلقة، على سطح الأرض فقالوا: "اعلم يا أخي بأنّ الحيوانات التامة الخلقة، كلها كان بدء كونها من الطين أولا من ذكر وأنثى انتشرت في الأرض سهلا وجبلا وبرًا وبحرًا من تخط خط الاستواء، حيث يكون الليل والنهار متساويين والزمان أبدًا معتدلاً هناك بين البرد والحر، وهناك أيضا تكوَّن أبونا آدم أبو البشر وزوجته ثم توالدا، وتناسلت أولادهما وامتلأت الأرض".[3]

تبين لنا مما تقدم، اعتماد إخوان الصفاء، في تفسيرهم وتصورهم خلق الإنسان، على ما توصلوا إليه من معرفة نشوء الحياة وتطور الكائنات، إذ تعمقوا في هذا المجال كما رأينا سابقا،

1– رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص 45–46.

2– المصدر نفسه، ص 154.

3– محمود إسماعيل، إخوان الصفاء، رواد التنوير في الفكر العربي، عامر للطباعة والنشر، ط1، المنصورة، 1996، ص91.

وارتكزوا على ما توصلوا إليه من نتائج لتفسير كيفية خلق الإنسان، والتي تعدُّ من أهم المسائل التي شغلت فكر الأنسان منذ وجوده حتى الآن فعملية الخلق قد مرَّت بمراحل متتابعة عرفت في كل مرحلة تطورًا وتقدمًا على المرحلة التي سبقتها، إلى أن تصل عملية الخلق إلى التمام فقد كان بدء خلق الإنسان من الطين، هو المتمثل بخلق آدم وحواء، وهما أصل الجنس البشري ثم وهب الله الإنسان بطبيعة تؤهله للحفاظ على نسله والانتشار في كل أصقاع الأرض.

لقد اعتمد الإخوان على القرآن الكريم بشكل أساسي لتوضيح عملية الخلق وذلك أن الإنسان يبتدئ كونه من النطفة، ثم ينشأ وينموا ويتم ويبلغ.[1]

وكما ذكر سبحانه وتعالى فقال" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظامًا، فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون".[2]

فالعالم لم يخلق مصادفة ولا عبثًا، أو بدون غاية من خلقه، بل هناك تدرُّج وتطور من أبسط إلى الأعقد من الناحية المادية، المحسوسة كمًا بينَّا، حتى أدى هذا التطور والارتقاء إلى نشوء أفضل الكائنات وأشرفها تركيبيًا وهو الإنسان الذي خلق كل شيء في هذا الكون من أجله.

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص220.

2- المؤمنون، الآيات (12-15).

فعلى الإنسان أن يسعى جاهدًا لإدراك هذه الحقيقة ومعرفتها حق المعرفة فيعلم بأن الحيوانات كلها متقدمة الوجود على الإنسان بالزَّمان لأنها له ولأجله.[1]

وبذلك فقد بان بما في أوليات العقل من البرهان، تقدم الحيوان على الإنسان بالزمان، فالإنسان متقدم بالقوة، وكان آخرًا بالفعل، ولذلك قبل ما كان أولاً بالقوة، كان آخرًا بالفعل.[2]

إذًا مما سبق يتبن لنا الحكمة من تقدم كل المخلوقات الأرضية على الإنسان في الوجود، إذ إنها خلقت من أجله، بل أن الغاية من وجود العالم هو خلق الإنسان الذي تميَّز بعقله، فعليه أن يتأمل ويتفكر في هذا الخَلق، وفي كل ما يحيط به ليكشف تلك الحقيقة إنطلاقا من ذاته وليكشف أنه وحده بعد كل كثرة، والباري عزَّ وجل وحده قبل كل كثرة.

فالإنسان يتفوق على كل الكائنات بفكره وعقله ورويته وشرف جوهره، إذ يمكنه من خلاله أن يصل إلى مرتبة الملائكة، فيصبح إنسانًا ملكيًا متفوقًا على أبناء جنسه، بشرط صفاء هذا الجوهر وخلاصه من أدران المادة والهيولى الطبيعية فعلى الإنسان أن يسعى جاهدًا للاقتراب أو الوصول إلى هذه المرتبة التي خلق من أجلها إذ جعل الله صورة الإنسانية خليفة له في الأرض، فكانت "نسبة الإنسانية إلى صور سائر الحيوانات، كنسبة الرأس من الجسد، ونفسه كالسائس وأنفسها كالمسوس".[3]

1- منال إسماعيل عجوب، مرجع سبق ذكره، ص112.

2- عارف تامر، جامعة الجامعة، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، ص161.

3- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص153.

لذلك على الإنسان أن يكون جديرًا بهذه المكانة التي خص بها من بين جميع الخلائق، فيسعى للوصول والرقي إلى أعلى المراتب، ولا ينبغي له أن يبقى قريبا من مرتبة الحيوانية، بل علية أن يعلم أن الله عز وجل جل ثناؤه، لما أراد أن يجعل في الأرض خليفة له من البشر، فبدأ أولا ربنا تعالى، فبنى لخليفته هيكلاً من التراب، عجيب البنية، ظريف الخلقة، مختلف الأعضاء، كثير القوى، ثم ركّبها وصورها في أحسن صورة، من سائر الحيوانات، ليكون بها مفضَّلاً عليها، ثم نفخ فيه من روحه، فقرن ذلك الجسد الترابي بنفس روحانية من أفضل النفوس الحيوانية وأشرفها.[1]

1- عارف تامر، جامعة الجامعة، مرجع سبق ذكره، ص 162.

المبحث الثاني: ثنائية النفس والجسد.

تمهيد:

إن العلاقة بين جوهري الجسد والنفس وثيقة جدًا بحيث يصعب الحديث عن أحدهما دون الإشارة إلى الآخر، فخلال دراسة الجسد وصفاته، أشرنا إلى شيء من هذه العلاقة وكذلك الأمر عندما عالجنا موضوع النفس الإنسانية وسنحاول أن نوضح بشكل أعمق هذه العلاقة بالكلام على الإنسان المتكامل بجوهرية وعلى الواجبات المترتبة على الإنسان تجاه نفسه ليعرف كيف يسوسها، لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، ويبلغ مرتبة الكمال إذا تمكن من تحقيق المنفعة الجسمانية والمنفعة النفسانية فيستحق عندها مرتبة الإنسانية وتتهيأ نفسه للصورة الملكية وهذا لن يتحقق للإنسان إلاَّ عندما يعرف نفسه جيدًا، أي عندما يدرك أن مهمة الجسم الهيولي إعمار الأرض والسعي لكسب المعاش من أجل الحياة والبقاء في الدنيا الزائلة، وأن النفس من ماهيتها السعي من أجل بلوغ الحياة الأبدية، وبالتالي فإن مصير الجسد العودة إلى أصله وعناصره الأربعة بينما النفس تعود إلى مصدرها الأول النوراني: "النفس الكلية" بجوار العقل الفعال فمن علم ذلك حق عمله، وعرف كيف يعطى كل جوهر حقه حسب طبيعته وقيمته، فلا شك أنه محقق لإنسانيته في أحلى صورها، ومن راع أحدهما على حساب الآخر، فسيلحق به التعب والشقاء في النهاية، أما من يجهل حقيقة كل من الجوهرين ولا يعرف ماهيتهما، فسيكون أقرب إلى مرتبة الحيوانية.

ثنائية النفس والجسد

في الرسالة التاسعة من الجسمانيات والطبيعيات وهي الرسالة الثالثة والعشرون من رسائل إخوان الصفاء، يتكلمون فيها على الإنسان بأنه ثنائية متكونة من جسد ونفس كما تكلموا على الإنسان وأحواله.

وبالرجوع إلى الإنسان وتخصيص جزء من تفكيرهم له، يقولون حان أن نذكر في هذه الرسالة تركيب جسد الإنسان، إذ آخر مرتبة الحيوانية متصل بأول مرتبة الإنسانية، وغرضنا من هذه الرسائل أن نبين كون الإنسان عالم صغير فنقول، إعلم، وفقك الله، إن الإنسان إذا أدعى معرفة الأشياء وهو لا يعرف نفسه، فمثله كمثل من يطعم الناس وهو جائع، وكمثل من يداوي غيره وهو مريض سقيم عليل، أو كمن يكسوا الناس وهو عريان، وعورته بادية، أو كمثل من يهدي الناس إلى الطريق وهو ضال لا يعرف طريق بيته، وقد علمتم أن في هذه الأشياء ينبغي للإنسان أن يبتدئ أولاً بنفسه ثم بغيره.[1]

يؤكد إخوان الصفاء على معرفة الإنسان لنفسه، كما يؤكدون على وعي ومعرفة الإنسان بما يحيط به، فالإنسان إنسان بنفسه أولاً وبغيره ثانيا، وإذا لم يكن ذلك الوعي وتلك المعرفة، يظل الإنسان جاهلاً لنفسه فما بالك بغيره، فالإنسان يكون خيرًا سعيدًا إذا صدرت عن أفعاله الإنسانية

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص378-379.

والفضيلة هي فعل الإنسان بحسب صورته الحقيقية، ولكن لما كانت الإنسانية تبدوا بدرجة متفاوتة في مختلف الأفراد فالسعادة أو الخير ليس واحدا عندهم جميعًا....[1]

فمعرفة الإنسان لذاته، إذن هي الأساس الذي ينطلق منه إخوان الصفاء في تحديد ثنائية النفس والجسد، وكأنها معرفة ذاتية أولاً، ومعرفة علمية ثانياً، وفي كلا المعرفتين يظل هاجس فصل النفس عن الجسد أو اتحاد النفس بالجسد محور نقاش.

وفي تعريفهم للحياة والموت يرى إخوان أن الحياة هي استعمال النفس للجسد يعد ارتباطها به وأنه لا حياة للجسد بمفرده، لأن حياته عرضية لمجاوزة النفس إياه فإذا فارقته بلي وعاد إلى التراب.....[2]

كما يذهب إخوان الصفاء إلى أن اسم الإنسان إنما هو واقع على هذا الجسد الذي كالبيت المبني، وعلى هذه النفس التي تسكن هذا الجسد، وهما جميعًا جزآن له وهو جملتهما والمجموع منهما، ولكن أحد الجزئين الذي هو النفس أشرف وهو كاللُّب، أو الجزء الآخر الذي هو الجسد كالفشر، والإنسان هو الذي جملتهما والمجموع منهما ولكن أحد الجزئين الذي هو النفس كالشجرة والآخر كالثمر، ومن وجه آخر أحدهما كالرُّكب وهي النفس، والآخر كالمركوب وهو الجسد والإنسان هو جملتهما كالفارس.[3]

1- محمد ابن مسكوية، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مطبعة واد النيل، د.ط، مصر، 1399هـ، ص29-30، مأخوذ نقلا عن: دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، مرجع سابق ذكره، ص241-242.

2- المرجع نفسه، ص122.

3- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص379.

وأعلم أن هذا الجسد لهذه النفس هو بمنزلة دار لسكانها بنيت وأحكم بناؤها وقسمت بيوتها وملئت خزائنها وسقفت سطوحها، وفتحت أبوابها، وعلقت ستورها، وأعدَّ فيها كل ما يحتاج صاحب المنزل في منزله....

ثم أن هذا الجسد بهذه النفس من جهة أخرى بمنزلة دكان الصانع وأن جميع أعضاء الجسد للنفس بمنزلة أدوات الصانع في دكانه، وأن النفس بكل عضو تظهر ضروبًا من الأفعال وفنونًا من الأعمال.[1]

إن هذا الجسد لهذه النفس النفس الساكنة فيه يشبه مدينة عامرة بأهلها مأنوسة بسكانها وحالات الجسد تشبه حالات المدينة وتصرف النفس يشبه تصرفات أهل المدينة فيها.....[2]

وبذلك تتضح لنا أهمية كل من جوهري النفس والجسد وخصائصهما وطبيعة العلاقة بينهما، فهذا الجسم الكثيف مقره في الدنيا ومكانه في الأرض، وصفته الطول والعرض والعمق وهو محمول لا حامل والنفس حاملة له ولأعراضه، وهي المحركة له، "وذلك أن السفينة في البحر المحكمة الآلة المتقنة الأداة، تمر فيه بمن يرب أمرها، ويصلح حالها ومع ذلك فإنها لا تسير إلا بهبوب الرياح القائدة لها إلى الجهة التي يختار صاحبها وإذا سكنت الريح وقفت السفينة عن ذلك الجريان، وكذلك جسد الإنسان إذا فارقته النفس لا تتهيأ له تلك الحركة التي كان يتحرك بها مع النفس و لم يعدم من آلته شيئا، ولا ذهب منه عضو من الأعضاء إلا ذهاب الروح منه فقط والبرهان أن الريح ليست من

1- فراس السواج، طريق إخوان الصفاء، مدخل إلى الغنوصية الإسلامية، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع والترجمـــة، ط1، سوريا دمشق، 2008، ص144.

2- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، 384.

جوهر السفينة ولا السفينة حاملة بل الريح محركة لها فإذا صحَّ أن الريح محركة للسفينة وليس من جوهر السفينة، ولا تقدر السفينة ومن فيها على استرجاع الريح بعد ذهابها بحيلة يعملونها أو صنعة يصنعونها، كذلك الروح ليست من جوهر الجسم ولا الجسم حامل للروح ولا يقدر أحد من العالم على استرجاع النفس إذا فارقت الجسم...."[1].

إن إخوان الصفاء يستندون بهذه التشبيهات والأمثلة لإيصال أفكارهم التي تتعلق بموضوع النفس والجسد وتكريسها في أذهان المتلقين و لم يكتفوا بعرضها عرضًا نظريًا فقط، فيشبهون الجسد الإنساني بسفينة معدة لهبوب الرياح ونزولها عليها وبذلك فإن هلاك السفينة، إذا هلكت ليكون من حالين إما بفساد من جهة جرمها وانحلال تركيبها، فيدخل الماء ويكون ذلك سبب غرقها وهلاكها وهلاك من فيهما إن غفلوا عنها، كهلاك الجسم من غلبة إحدى الطبائع متى تهاون صاحبه وغفل عنه....."[2].

وبذلك يصل إخوان الصفاء من خلال توضيح العلاقة بين النفس والجسد ومآل كل منهما ومصيره إلى إثبات أن الموت حكمة وذلك، " أن الجنين إذا تمت في الرحم صورته، وكملت خلقه، و لم ينتفع في الرحم بل ينتفع بعد الولادة في الحياة الدنيا كذلك النفس إذا كملت صورتها وتمت فضائلها بكونها مع الجسد انتفعت بعد مفارقتها الجسد في الحياة الآخرة، فإذا الموت حكمة، إذا البقاء

1- منال إسماعيل، عجوب الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفاء، مرجع سبق ذكره، ص154.

2- رسائل إخوان الصفاء، (ج4)، مصدر سبق ذكره، ص296.

الأبدي لا يستيسر إلاَّ بعد حصول الموت، فالموت سبب لحياة الأبد، والحياة الدنيا سبب للموت في الحقيقة".[1]

ويقدم إخوان الصفاء منهجيه تتألف من طرق ثلاثة لمعرفة علاقة النفس بالجسد وتحتاج في ذلك أن ينظر فيه من ثلاث جهات :

أحدهما النظر في الجسد وتجرده عن النفس و الثاني البحث في أمر النفس والبحث عن الجسد، والثالث النظر والبحث عن الجملة المجموعة من النفس والجسد جميعا[2].

1- أن الجسد هو جسم مؤلف من لحم وعظم وعروق وعصب وما شاكل ذلك، وهذه كلها أجسام طويلة عريضة عميقة وجملة ذلك تدرك بالحس ولا يشك فيها عاقل .

2- أما النفس فهي جوهرة سماوية وروحانية حية بذاتها، علامة داركه بالقوة فعالة بالطبع لا تهدأ ولا تفتر عن الجولان مادامت موجودة وهكذا خلقها ربها يوم خلقها و أوجدها .

3- أما الجملة المجموعة من الجسد و النفس بهذا المحسوس المشاهد المخاطب التكلم، السائل المجيب العالم العارف، فإذا مات بطل منه ظهور هذه الأشياء لأن الموت ليس هو شيئا سوى مفارقة نفسه

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص59-60، لمزيد من التفصيل أنظر، منال إسماعيل عجوب، الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفاء، مرجع سبق ذكره، ص155.

2- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص 31.

جسدها وعند ذلك يعدم منه جميع فضائله الظاهرة من العلوم والصنائع ومن الأخلاق والأفعال والحركات والأعمال والأصوات وما شاكل ذلك [1]

المنهجية التي اتبعها إخوان الصفاء في معرفة العلاقة بين النفس والجسد هي:

- النظر عن طريق الملاحظة لأحوال الجسد، الملاحظة الخارجية.

- المنهج الباطني أو التأمل الباطني لأحوال النفس.

- الربط بين النفس و الجسد وما ينجر عن هذا الارتباط .

وكخلاصة : إن الإنسان لما كان هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وهما جوهران متباينان في الصفات متضادان في الأحوال مشتركان في الأفعال العارضة والصفات الزائلة، صار الإنسان من أجل جسده الجسماني مُريدا للبقاء في الدنيا متمنيا الخلود فيها، و من أجل نفسه الروحانية صار طالبا للدار الآخرة، متمنيا للبلوغ إليها، وهكذا أكثر أمور الإنسان وتصرف أحاوله مثنوية متضادة، كالحياة والممات والنوم واليقظة، والعلم والجهالة والتذكر والغفلة والعقل والحماقة، والمرض والصحة والفجور والعفة والبخل والسخاء والجبن والشجاعة والألم واللذة وهو متردد بين الصداقة والعداوة والفقر والغنى والصواب والخطأ والخير والشر والقبح والحسن ومما شاكلها من الأخلاق والأفعال والأقاويل المتضادة المتباينة التي تظهر من الإنسان الذي هو من جسد جسماني ونفس روحانية[2].

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص 372ـــ373

2- سمير سرحان، محمد عناني، المختار من رسائل إخوان الصفاء، مكتبة الأسرة، د.ط ، د.ب، 1998 ، ص112.

إن ما ذكرناه من مثنويات متضادة تتعلق بأحوال الإنسان من حيث طباعه و أخلاقه، غير أن قُنيته صارت نوعين أيضا " جسمانية كالمال و متاع الدنيا و روحانية كالعلم و الدين، وذلك إن العلم قنية للنفس كما أن المال قنية للجسد وكما أن الإنسان يتمكن بالمال من تناول اللذات من الأكل والشرب في الحياة الدنيا، فهكذا بالعلم ينال الإنسان طريق الآخرة وبالدين يصل إليها وبالعلم نضيء النفس وتشرق وتصح كما أن بالأكل والشرب ينمو الجسد ويزيد ويربو ويسمن ..."[1]

1- منال إسماعيل عجوب، الإنسن والأدب في رسائل إخوان الصفاء، مرجع سبق ذكره، ص 151.

المبحث الثالث: النفس عند إخوان الصفاء.

تمهيد:

إن البحث عن طبيعة النفس عند إخوان الصفاء يعد من أهم الموضوعات التي شغلت بال المفكرين والحكماء في العصور كلها لارتباطها بالعلوم الماورائية ووجودها في أجسادنا بأمر الخالق وإبداعه، فإنها سرّ الله في خلقه، ولغز الإنسانية الذي لم يُحل بعد، وعلى الإنسان أن يسعى جاهدا لمعرفة ماهية هذا الجوهر الروحاني الذي يشع في داخله فلا يقف عند حدود الجسد الذي يعيقه ويمنعه من النظر بعين الحقيقة يرى تلك الجوهرة القدسية التي بثها الله في داخله وعليه أن يكشف حقيقته، من خلال معرفة نفسه، ليصل من معرفتها إلى معرفة النور الأزلي الذي صدرت منه.

ولقد اهتم إخوان الصفاء بموضوع النفس الإنسانية اهتماما بالغا طهر في كل رسائلهم، إذ يشكل هذا الموضوع صلب مبحث الإنسان عندهم فكانت هي المحور الأساسي في رسائلهم بأقسامها المختلفة الرياضية والطبيعية الجسمانية والنفسانية والعقلية والناموسية الإلهية وأفاضوا كثيرا دراسة كل ما يتعلق بالنفس الإنسانية من ناحية مبدأها ومعادها وإثبات جوهريتها، واختلافها بالطبيعة والصفات عن الجسد، فوضعوا العلاقة بينهما وتحدثوا عن قوى النفس الإنسانية ومراتبها واللذات الروحانية ومن هنا يمكن معرفة حقيقة النفس كما يراها إخوان الصفاء.

تعريف النفس عند إخوان الصفاء

نزع الإخوان في نظرتهم إلى النفس نزعة أفلاطونية فيثاغورثية، لكنهم قبل الخوض في هذا الموضوع نظروا إلى الناس فوجدوهم فئات ثلاثًا في ما هو من شأن النفس وماهيتها فمنهم من قال أن

النفس هي جسم لطيف غير مرئي ولا محسوس، ومنهم من قال أنها جوهرة روحانية غير جسم، معقولة وغير محسوسة باقية بعد الموت، ومنهم من قال أن النفس عرض يتولد من مزاج البدن وأخلاط الجسد يبطل ويفسد بعد الموت، إذا بلي الجسد وتلف البدن لا وجود لها إلاَّ مع الجسم البتة، "هؤلاء قوم يقال عليهم الجسميون لا يعرفون شيئا سوى الأجسام المحسوسة.[1]

النفس عند إخوان الصفاء، جوهرة روحانية، سماوية نورانية، حية بذاتها علامة بالقوة، فعالة بالطبع، قابلة للتعاليم، فعالة في الأجسام ومستعملة لها، ومتممة للأجسام الحيوانية والنباتية إلى وقت معلوم، ثم أنها تاركة لهذه الأجسام ومفارقة لها وراجعة إلى عنصرها ومعدنها ومبدئها كما كانت، إما بربح وغبطة، أو ندامة وحزن وخسران[2]، كما ذكر الله عز وجل بقوله" كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنَّا كنا فاعلين".[3]

كما نجد قوله عز وجل "كما بدأكم تعود دون فريقا هدى، وفريقا حق عليهم الضّلالة".[4]

إن هذا النص يلخص كل ما يخص النفس من طبيعة جوهرها وأفعالها ومترلتها ومصدرها، ومآلها، فهي طبيعة روحانية تختلف عن الجسد الجسماني المادي وعلى الإنسان أن يدرك هذه الحقيقة، لأنها ركيزة أساسية لمعرفة كل عام آخر وفهمه.

1- حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، مرجع سبق ذكره، ص269-270.

2- سمير سرحان، محمد عنابي، المختار من رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مرجع سبق ذكره، ص112.

3- الأنبياء آية 104.

4- الأعراف الآية (29-30).

وما يفيدنا في شأن النفس عند إخوان الصفاء، هو أنها جاءت قبل البدن وأنها كانت في عالم خاص بها، قبل حلولها في البدن، وهم يرون أن الهدف من بعثة الأنبياء، هو إخراج هذه النفوس من عالم الكون والفساد وإيصالها إلى الجنة.[1]

لم يتوان إخوان الصفاء لحظة في تمجيد النفس، فهي لديهم خير، والجسد شر كله، فالعلاقة بين النفس والجسد، وصفها إخوان الصفاء، بحكيم ابتلى بعشق تلك المرأة، الرعناء الفاجرة، جاهلة، التي تطالبه بالمأكولات الطيبة والمشروبات اللذيذة والملبوسات الفاخرة ولا راحة له إلاّ بمفارقتها.[2]

ولم يفرق إخوان الصفاء بين نفس ونفس ومن ناحية روحانية كما هو الحال عند الصوفية، فالنفوس كلها عندهم من جنس واحد وهي حية بذاتها غير محتاجة للأكل والشرب كالجسد، ولا سبيل إلى خلاص هذا الجهور الشريف إلا بمفارقة الجسد.[3]

وذلك بالموت ولا حاجة إلى كل أعراض الدنيا التي يحتاجها الجسد وحده، فهي قادرة على انتزاع صور المحسوسات من هيولاها، ثم تصور ما في الهيولى الخاصة بها، وتنظر إليها خلوا من تلك الهيولى وهناك شرف راجع إلى قوة النفس الوهمية، فهي تنظر إلى العالم وكأنها خارجة منه، وأحيانا تنظر إليه وكأنها داخلة فيه، وقد تقدم الزمان الماضي ناظره إلى بدء العالم، وقد تسبق المستقبل، وتنظر فناء العالم قبل كونه، ذلك أن من شدة قوتها تضاعف العدد إلى مالا نهاية له، وتتوهم أيضا أن خارج

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص 30.

2- رسائل إخوان الصفاء، (ج4)، مصدر سبق ذكره، ص 183-184.

3- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص 40.

العالم فضاء إلى مالا نهاية. وما يشاكل هذا من أفعالها العجيبة .....فكل هذه الأقاويل قالوها لقلة معرفتهم بجوهر النفس وعجائب قُواها.....[1]

أ- مراتب النفوس:

يرى إخوان الصفاء أن للنفس ثلاث مراتب يعتمدون لتأكيد فكرتهم على جوهر العقيدة الإسلامية، ويستشهدون بآيات قرآنية لبيان هذه المراتب، "فمنها مرتبة الأنفس الإنسانية، ومنها ما هي فوقها، ومنها ما هي دونها فالتي هي دونها سبع مراتب، والتي فوقها سبع أيضًا، وجملتها خمس عشره مرتبة والمعلوم من هذه المراتب...ويمكن لكل عاقل أن يعرفها ويحس بها خمس، منها اثنتان فوق رتبة الإنسانية وهي رتبة الملكية والقدسية ورتبة الملكية هي رتبة الحكيمة، ورتبة القدسية هي رتبة النبوة والناموسية، واثنتان دونها وهي مرتبة النفس النباتية والحيوانية، ويعلم صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا الناظرون في علم النفس من الحكماء والفلاسفة وكثير من الأطباء، وأما مرتبة الإنسانية[2]، فهي التي ذكرها الله تعالى بقوله "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"[3]، وأما التي فوقها فما أشار إليه بقوله تعالى " ولما بلغ أشده واستوى أتيناه حكمًا وعلمًا".[4]

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص12، لمزيد من التفصيل أنظر الصفحات 13، 14، 15.

2- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص48.

3- التين، آية (4).

4- القصص، آية (14).

قوى النفس:

إن قوى النفس كثيرة جدًا، وقد اهتم إخوان الصفاء، بتوضيحها وبيان أنواعها فأشاروا إلى "أن في هذه النفس الساكنة في هذا الجسد قوى طبيعية وأخلاقًا غريزية منبثة في أعضاء هذا الجسد، تشبه قبائل تلك المدينة وشعوبها والنازلين في المحال بتلك المدينة وأن لتلك القوى انفعالا وحركات منبثة في أوعية هذا الجسد.[1]

أما القوى الطبيعية فهي ثلاث أجناس:

1- قوى النفس النباتية: ونزعاتها وشهواتها وفضائلها ومسكنها الكبد.

2- قوى النفس الحيوانية: وحركاتها وأخلاقها وحواسها ومسكنها القلب.

3- قوى النفس الناطقة: وتميزاتها ومعارفها وفضائلها ومعارفها ومسكنها الدماغ.[2]

ثم علم أن هذه النفوس الثلاث ليست متفرقات متباينات بعضها من بعض، ولكنها كلها كالفروع من أصل واحد متصلات بذات واحدة كاتصال ثلاث أعضاء من شجرة واحدة، تتفرع من كل غصن عدة قضبان ومن كل قضيب عدَّة أوراق، وثمار....فكذلك أمر النفس فإنها واحدة بالذات.[3]

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص 387.

2- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص246.

3- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص387، 388.

وإنما تقع عليها هذه الأسماء بحسب ما يظهر منها من الأفعال وذلك إذا فعلت في الجسم الغذاء والنمو فتسمى النفس النامية وإذا فعلت في الجسم الحركة والحس والنقلة، فتسمى النفس الحيوانية، وإذا فعلت الفكر والتمييز فتسمى النفس الناطقة.[1]

ثم اعلم لكل عضو من أعضاء الجسد قوة من قوى النفس مختصة بها، وهي تدبر ذلك العضو، وتفعل أفعالا خلاف ما تفعل قوة أخرى من عضو آخر، فالقوة الباصرة تسمى نفس العين، والقوة السامعة تسمى نفس الأذن، والقوة الذائقة تسمى نفس اللسان، والقوة الشامة تسمى نفس الأنف.[2]

في هذا نجد إخوان الصفاء يذهبون مذهب أرسطو في اعتبار النفس من طبيعة واحدة، لا تختلف بالنوع، وأنها تنتقل من مرتبة الهيولى إلى مرتبة العقل، بالتدرج وفي هذا الانتقال لا تفقد ماهيتها.[3]

تتضح وحدة النفس الإنسانية عند إخوان الصفاء، رغم تعدد قواها وفي حديث إخوان الصفاء عن النفس الكلية، نرى تشابها بينها وبين النفس الإنسانية من حيث الوحدة مع تعدد القوى، فهما إذن متماثلتان ويرى إخوان الصفاء أن القوى الرئيسية في النفوس لا بد من ترابطها، وهي الشهوانية، والغضبية والناطقة، ويجب سيطرة هذه الأخيرة على السابقين، وينبغي أن يكونا عبدين مقهورين يأتمران بأوامرها وإلاَّ حدث فساد كبير، وأما أفعال القوة الناطقة، إذ لم يرأسها، ويلزمها

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص388.

2- المصدر نفسه، ص389.

3- حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، د.ط، 1405هـ، 1985م، ص245.

العقل فتشبه أفعال العلماء، والقراء إذا تنازعوا في أحكام الدين واختلفوا فيها، وصاروا ذوي مناصب كثيرة ومقالات، إذا لم يرأسهم ويلزمهم إمام عادل من خلفاء الأنبياء.[1]

وقد يتوهم أن السامعة والباصرة مدركاتها حسية فحسب، بل أيضا تدركان إدراكا روحيا بصفة قاطعة، ويتفاوت الناس تفاوتًا كبيرًا في هذه القوى الحساسة وهي من أسباب الخلاف في الآراء والمذاهب.[2]

فهناك من الناس من هو جاد النظر يرى الأشياء البعيدة وحال ذلك في القوة السامعة، بحيث تميز بين النغمات الموزونة والمؤلفة ومنهم من يحتاج في ذلك إلى مفاعيل العروض، ومنهم من لا يحس بشيء من ذلك.[3]

إن التفاوت الذي ذكرناه بين قوى النفس الداركة العلامة أو الحاسة لا يعود بالأساس إلى ذواتها، جودة ورداءة، ولكن يعود إلى اختلاف أحوالها، في إدراك صور المعلومات، ويضرب لذلك إخوان الصفاء أمثلة فالحدقتان كعضوين في الجسد، وهما أداتان للقوة الباصرة، فإذا كانتا سليمتين من الآفات العارضة، تراءت فيهما صور المرئيات كالمرايا.

وأما إذا كانت على غير ما ذكرناه تعرضت لعارض من الآفات، عاقت القوة الباصرة عن إدراك محسوساتها، وذلك بتطبيق على القوة السامعة واللامسة، والقوة الشامة، وهذه الأخيرة إذا

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص389.

2- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص405.

3- المصدر نفسه، ص405.

كانت خياشيم المنخرين مفتوحة نقية من البخارات الغليظة، سليمة من الآفات العارضة، أدركت القوة الشاملة الروائح وميزت بينها وعرفتها.[1]

ومن هنا يمكن القول أن لكل قوة حساسة شروط في إدراكها المحسوسات فالباصرة تحتاج في إدراكها المبصرات، إلى ضوء وبُعد، ووضع كما لا يمكننا إدراك الضياء المفرط والنور الباهر، كما لا يمكننا إدراك المبصرات في الظلمة الظلماء، وذلك أن الإنسان ليس باستطاعته النظر إلى عين الشمس نصف النهار في يوم صائف (الصيف).[2]

سبق وأن أشرنا أن النفس البشرية عند إخوان الصفاء ثلاث أما القوى النفس الروحانية فهي خمس على النحو التالي:

المتخيلة: وهي قوة من قوى النفس الإنسانية ولا غنى للإنسان عنهما في تفكيره، والخيال عند إخوان الصفاء وسيط بين الحس والفكر كما أن المخلية في نظرهم تسكن مقدمة الدماغ، ويشترطون لسلامتها سلامة الدماغ من الآفات حتى لا تعجز المتخيلة على أداء وظيفتها ويتفاوت الناس في هذه المتخيلة، ويعود هذا الاختلاف إلى اختلاف تركيب أدمغتهم واعتدال أمزجتهم أو أقسامها ولهذا نجد كثيرًا من الصبيان يكون أسرع تصورًا لما يسمعون وأجود تخيلا لما يصفه لهم البالغون وقد يحدث هذا مع العلماء والعقلاء.[3]

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره ، ص406، 407.

2- المصدر نفسه، ص 409.

3- حنا الفاخوري، تاريخ الفلسفة العربية، مرجع سبق ذكره، ص285.

وللنفس المتخيلة خواص عجيبة منها: أنها تتناول رسوم المحسوسات جميعا، وتتخيلها بعد غيبة المحسوسات ويمكن لهذه القوة الروحانية أن تتخيل ماله حقيقة وما ليس له حقيقة كأن يتخيل الإنسان جملاً على رأس نخلة أو حمار له رأس إنسان.[1]

ويستوي التصور للإنسان بفضل المتخيلة لسببين:

إن هذه المتخيلات تجمع عندها مواد كثيرة، من رسوم المحسوسات، قد تستطيع المتخيلة أن تركب منها ضروبا كثيرة، أما السبب الثاني فيرجع إلى شرف النفس، وشدة روحانيتها، وسهولة قبولها رسوم المعلومات، وهي أيضا تركب القياس وتحكم على حقائق الأشياء بلا روية ولا اعتبار، فينتج عن ذلك الخطأ قطعا، مثال حكم صبي على صبي آخر بأن له أبوين مثله، لكن سرعان ما يكتشف عندما يكبر الصواب من الخطأ في هذا القياس[2].

المفكرة: تأتي بعد المتخيلة، وهي تسكن وسط الدماغ ولذا يشترط سلامة وسط الدماغ، فإذا وصلت المتخيلة رسوم المحسوسات إليها، بعد تناولها من القوى الحساسة وغابت تلك المحسوسات عن الحواس، تبقى تلك الرسوم مصورة بصورة روحانية في فكر الإنسان.

فيشبه أفعالها إخوان الصفاء بأفعال التجار الذين يكونون في عرصات المدينة والأسواق[3].

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص416.

2- المصدر نفسه، ص 419.

3- المصدر نفسه، ص 390.

فإن دخل مثلا مدينة من المدن وطاف في أسواقها ومجالها، وتأمل أهلها وصفاتهم وسمع كلامهم ثم غادرها، فإنه كلما فكر فيها تخيلها كأنه يراها، وهذه الفكرة ليست شيئا، صور تلك الموجودات التي انطبعت في جوهر نفسه كالانطباع نقش الفص في الشمع [1].

وتحتل المفكرة مركزا هاما ما بين سائر القوى، فهي على حد تعبير الإخوان كالقاضي بين المتخاصمين، فهو لا يحكم بين الخصمين إلا بالشهود والصكوك، وموازين ومكاييل معلومة ومعرفة بها جدلا، وضرب لذلك إخوان الصفاء مثلا لرجلين اختلفا في لون شراب، فحكم أحدهما بأنه لون الماء وخالفه الآخر، ثم تحاكما إلى المفكرة فهي لا تستطيع الفعل إلا بعد شهادة حاكمين هما الذائقة والباصرة [2].

بالنسبة للغات وعلاقتها بالمفكرة، فإن الإنسان إذا استمعوا للأصوات وميز بين النغمات يفهم معاني الكلام، وهذا فارق بين الانسان والحيوان، لكن الإنسان يتفاوت أفراده تفاوتا كبيرا في هذين الجانبين، فهناك من لا يعرف إلا لغة واحدة، وهناك من يفهم العديد من اللغات، وهذا سبب اختلاف الناس في المعارف وكذلك اختلاف العلماء في المذاهب والآراء[3].

هناك أفعال تستطيع المفكرة فعلها دون مساعدة غيرها من القوى وأفعال أخرى تحتاج فيها المفكرة إلى مساعدة غيرها.

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره ، ص 414.
2- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص 422.
3- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص 413.

فالأولى: كالفكر، والروية، والتمييز والاعتبار والتصور والجمع والقياس البرهاني ولها التكهن والإلهام وقبول الوحي.[1]

أما النوع الثاني: الذي تشترك فيه المفكرة مع قوى النفس، مثل الضائع وبين القوى الصناعية التي آلتها اليدان، وكذا الكلام الذي هو مشترك بينهما وبين الناطقة التي آلتها اللسان.[2]

الحافظة: مسكنها مؤخرة الدماغ، ومن شروطها سلامة الحافظة سلامة هذا المؤخر، ودور الحافظة نحو تقبل النفس صور المعلومات من المحسوسات والمعقولات في ذاتها، وتصورها بالمفكرة ثم تحفظ هذه المعلومات بالحافظة وتستعيدها وقت الحاجة فشبه إخوان الصفاء أفعالها الخزن والوكلاء والمحتكرين.[3]

الصانعة: وهي من أعظم نعم الله على عباده، لأنها قيدت لهم العلوم والأفكار بصناعة الكتابة، ليبقى العلم مفيدًا، وحفظ آثار الأولين للمتأخرين بمثابة الخطاب الشاهد من الحاضر الغائب.[4]

الناطقة: القوة الناطقة مجراها اللسان حيث تستعيدها المفكرة لتنوب عنها في الجواب والخطاب للسائلين، بحيث تقوم الناطقة بتأليف ألفاظ من حروف المعجم بنعمات مختلفة السمات، وهي الكلام

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص 421، 422.

2- المصدر نفسه، ص422.

3- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص390.

4- المصدر نفسه، ص415.

ذاته، ثم تضمن تلك الألفاظ المعاني التي هي مصورة عند القوة المفكرة، فتدفعها عن ذلك إلى القوة المعبرة لتخرجها إلى الهواء بالأصوات المختلفة لتحملها إلى مسامع الحاضرين.[1]

ويرتبط هذا الكلام ارتباطا وثيقا بالعقل الذي هو التمييز الذي يخص كل واحد من أشخاصه دون سائر الحيوانات فالعقل عندهم هو ما يميز بين الإنسان والحيوان، وهو في نفس الوقت أساس التفرقة بين الأفراد، إذا لكل فرد عقل يمتاز به، وهو عندهم أيضا يندرج تحت النفس الإنسانية، إنه أحد قواها: "ليس هو شيئا النفس الناطقة إذا تصورت رسوم المحسوسات في ذاتها، ميزت بفكرها بين أجناسها وأنواعها وأشخاصها وعرفت جواهرها وأعراضها"[2].

للتذكير فإن العقل عند إخوان الصفاء كما أشاروا إليه في أكثر من موضع أنه جاء فيها وليس اكتساب من الإنسان، ويتضح ذلك جليا في قولهم : "لما كان العقل الذي نحن في ذكره قوة من قوى النفس الإنسانية والنفس الإنسانية هي أيضا قوة من قوى النفس الكلية، والنفس الكلية هي فيض فاض من الفيض الكلي، الذي هو أول فيض فاض من البارئ عز وجل هي كلها تسمى موجودات أولية، احتجنا أن نذكر أولا أقسام الموجود، معنى الوجود والعدم، وطرق العمل بها"[3].

1- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص 286.

2- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص 425-426.

3- المصدر نفسه، ص 232.

الفصل الثالث

الأخلاق عند إخوان الصفاء

تمهيد:

المبحث الأول: عوامل نشأة الأخلاق عند إخوان الصفاء

المبحث الثاني: كيفية الوصول إلى السعادة بأنواعها

المبحث الثالث: الأخلاق المطبوعة والأخلاق المكتسبة.

تمهيد:

إن المصدر الأساسي الذي استقى منه إخوان الصفاء القيم الأخلاقية فلقد أعطوا أهمية كبيرة للأخلاق وللفضائل التي تعلي من شأن الإنسان وترفع قيمه الإنسانية، فالإنسان سلوك، وهنا نجدهم يركزون على أن الإنسان خليفة الله في الأرض، "فبدأ ربنا تعالى أولا ببناء لخليفته هيكلاً من التراب عجيب البنية ظريف الخلقة مختلف الأعضاء كثير القوى ثم ركبها وصورها في أحسن صورة من سائر الحيوانات ليكون بها مفضلاً عليها مالكا لها متصرفا فيها كيف يشاء ثم نفخ فيه من روحه فقرن ذلك الجسد الترابي بنفس روحانيه من أفضل النفوس الحيوانية وأشرفها ليكون بها متحركًا حساسًا وليكون أيضًا مهيأ بها وممكنا له قبول جميع سائر الأخلاق وتعلم جميع العلوم والآداب والرياضيات والمعارف والسياسات.....[1]

من هنا يمكن القول أن إخوان الصفاء تُبني نظرتهم الأخلاقية للإنسان من الأساس الروحاني باعتبار الإنسان لا يمكنه أن يحقق صورته الإنسانية إلاَّ من خلال مقوماتها الأساسية وهو السلوك الأخلاقي.

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص38، 39.

المبحث الأول: عوامل نشأة الأخلاق عند إخوان الصفاء

من العوامل المؤثرة في نشأة الأخلاق واختلافها من جهة اختلاط أجسامهم ومزاج أخلاطها ومن جهة ثانية تربة بلدانهم واختلاف الأهوية والثالث من جهة نشوءهم على ديانات أباءهم ومعلميهم ومن يربيهم ويؤدبهم والرابع من جهة موجبات أحكام النجوم في أصول مواليدهم ومساقط نطفهم وهي الأصل[1]، وفي رأي إخوان الصفاء ونجد هذه العوامل تتمثل في:

أ- أخلاط الجسد: من جهة التركيب الجسدي ومزاج هذا التركيب، فالتركيب الجسدي للإنسان هو الأخلاط الأربعة(البلغم، الدم، المرة الصفراء، المرة السوداء) وفي النفس الساكنة في الجسد قوى طبيعية وأخلاق عزيزة منبثة في أعضاء الجسد منها:

قوى النفس الحيوانية: وحركتها وأخلاقها، وحواسها وفضائلها ورذائلها ومسكنها القلب.

قوى النفس النباتية: ونزعاتها وشهواتها وفضائلها ورذائلها ومسكنها الكبد.

قوى النفس الناطقة: وتميزاتها ومعارفها وفضائلها ومسكنها الدماغ....[2]

الإنسان عندهم قابل لجميع الأخلاق وقد تغلب عليه صفة خلقية معينة وعلى هذا الأساس قسم إخوان الصفاء الطبع إلى أربعة أقسام:

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص39.

[2]- فؤاد معصوم، إخوان الصفاء، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص246.

1- المحرري الطباع: وخاصة مزاج القلب، يكونون على الأكثر شجعان القلوب، أسخياء النفوس، متهورين في الأمور المخوفة، قليلي الثبات والتأني في الأمور، مستعجلي الحركة شديدي الغضب، سريعي المراجعة، قليلي الحقد، أذكياء النفوس، حادي الخواطر جيدي التصور وهم ذوي (الطبع الحار).

2- المبرودين: يكونون في الأكثر بليدي الذهن غليظي الطباع، ثقيلي الأرواح غير نضيجي الأخلاق وهم ذوي (الطبع البارد).

3- المرطوبين: يكونون في أكثر الأمور ذوي طباع بليدة وقلة ثبات في الأمور، لين الجانب، سمحاء النفوس، طيبي الأخلاق، سهلي القبول، سريعي النسيان مع كثرة تهور في الأمور الطبيعية وهم ذوي (الطبع الرطب).

4- اليابس المزاج: يكونون في الأمر من صفاتهم الصبر في الأعمال، الثبات في الرأي، عسيري القبول، والغالب عليهم أو على طبعهم الحقد والغل، البخل والإمساك، والحفظ وهم ذوي (الطبع اليابس).[1]

وهنا نجد أن إخوان الصفاء مالوا إلى هذا التصنيف والذي يبدو فيه تأثرهم بالفكر اليوناني وخاصة التصنيفات المذكورة سابقًا " تقسيم النفس الإنسانية" وهذا تبعا لأفلاطون أما أرسطو فيتفقون معه في أن النفس واحدة لكن وظائفها مختلفة.

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره ، ص40.

ب– تأثير البيئة الطبيعية: إن التغيير في البيئة وأهويتها يؤثر في أخلاق الإنسان لأن البلدان تختلف في القرب والبعد عن المناطق الحارة أو الباردة من جهات عدة منها كونها من ناحية الجنوب أو الشمال أو الغرب أو الشرق أو على رؤوس الجبال أو بطون الأودية والأغوار أو على سواحل البحار أو شطوط الأنهار أو في البراري والقفار والأرض الرملية والصخرية.[1]

وأهوية البلاد تختلف بحسب اختلاف تصاريف الرياح: فهذه كلها تؤدي إلى اختلاف أمزجة البشر يؤدي إلى اختلاف أخلاق الناس وطبائعهم وألوانهم ولغتهم وعاداتهم وأدائهم ومذاهبهم وأعمالهم وضائعهم وسياستهم وهذا مما يؤدي إلى انفراد أمة بصفات وأشياء لا يشاركها فيها غيرها مثال ذلك:

إن الذين يولدون في البلاد الحارة ويتربون هناك وينشئون على ذلك فإن الغالب على باطن أمزجة أبدانهم البرودة، والذين يولدون في البلدان الباردة ويتربون هناك وينشئون على ذلك الهواء يكون الغالب على باطن أمزجة أبدانهم الحرارة.[2]

لأن الحرارة والبرودة ضدان لا يجتمعان في حال واحد وفي موضع واحد في زمان واحد ولكن إذا ظهر أحدهما استبطن الآخر.[3]

والدليل على ذلك أن مزاج أبدان أهل البلدان الجنوبية من الحبشة والزنج والتوبة وأهل السند أهل الهند فإنه الغالب على أهويتهم الحرارة بمرور الشمس فاحترقت ظهورهم أبدانهم واسودت

[1]– رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره ، ص 42.

[2]– فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص247.

[3]– رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره ، ص 43.

جلودهم وتجعدت شعورهم لذلك السبب وبردت بواطن أبدانهم وابيضت عظامهم وأسنانهم واتسعت عيونهم ومناخرهم وأفواههم والعكس بالنسبة إلى حال أهل البلدان الشمالية لا تمر عليهم الشمس لا شتاء ولا صيفا ولذلك ابيضت جلودهم وترطبت أبدانهم وعظامهم وسبطت شعورهم....إلخ.

وعلى هذا الأساس توجد صفات أهل البلدان المتضادة بالطباع الآهوية يكونون مختلفين في الطباع والأخلاق في أكثر الأمر وأعم الحالات.

جـــ- التنشئة الاجتماعية:

فالصبيان الذين ينشئون مع الشجعان والفرسان يصيرون مثلهم، وأما الصبيان الذين ينشئون مع النساء والمخانيث فيتطبعون بأخلاقهم، وعلى هذا القياس سائر الأخلاق والسجايا التي يتطبع عليها الصبيان منذ الصغر، إما بأخلاق الآباء والأمهات والمعلمين والأصدقاء والأخوات والإخوان وعلى هذا الأساس حكم الأديان والمذاهب ومن ذلك تأثير البيئة الاجتماعية في الأخلاق الإنسانية.[1]

وإذا كان الناس أصنافا وطبقات في تصرفاتهم في أمور الدنيا لا يحصى عددها إلا الله إلاَّ إنه من الممكن تصنيفهم إلى سبعة أقسام:

1- الفنيون: (أرباب الضائع والحرف والأعمال).

2- التجار والكسبة: (أرباب التجارة والمعاملات والأموال).

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص 42، 43. للمزيد أنظر: مجلة الرسالة، العدد 26، علم النفس والتربية والأخلاق عند إخوان الصفاء، ص 6.

3- الملاك: أرباب البنايات والعمارات والأملاك.

4- السياسيون: ومنهم الملوك والسلاطين والأجناد.

5- العمال والفلاحين.

6-العاطلون: الذين لا يقومون بعمل لظروف صحية، وكذلك (أهل البطالة والفراغ).

7- رجال العلم والدين: كل واحد من هذه الأقسام يتفرغ إلى أصناف كثيرة ولكل صف أخلاقهم وطبائعهم وسجاياهم، ومآرب أكسبتهم أعمالهم وأوجبتها لهم متصرفاتهم لا يشبه بعضها بعضا.[1]

العادات الجارية بالمداومة والأدوار الاجتماعية التي ينشأ عليها الإنسان كالأساتذة والمعلون والآباء والأمهات والعادات والدين ينقلها هؤلاء نتيجة لتعودهم عليها.

د- تأثير الكواكب والنجوم:

وهنا نشير إلى أن العوامل السابقة، التي أتى على ذكرها إخوان الصفاء تؤثر في الأخلاق الإنسانية، فإن تأثيرها محدود، وتعتبر أحد الفروع مقارنة بتأثير النجوم والكواكب التي تعتبر الأصل كما أشرنا في بداية العوامل السابقة.

من جهة موجبات أحكام النجوم، فالذين يولدون في البروج النارية مثل المريخ في الأوقات التي يكون المستولي عليها الكواكب النارية فالغالب على أمزجة أبدانهم الحرارة وقوة الصفراء والذين يولدون في البروج المائية في الأوقات التي يكون المستولى عليها الكواكب المائية فالغالب على أمزجة

[1]- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص 248.

أبدانهم الرطوبة والبلغم، والذين يولدون في البروج الترابية في الأوقات التي يكون فيها المستولي عليها (زحل)، وما شاكله من الكواكب الثابتة، فإن الغالب على أمزجة أبدانهم اليبوسة والمرة السوداء، كما أن الذين يولدون في البروج الهوائية في الأوقات التي يكون فيها المستولي عليها المشتري، وما شاكله من الكواكب الثابتة فإن الغالب على أمزجة أبدانهم الدم والاعتدال.[1]

وتكملة لما جاء في أراء إخوان الصفاء فإن الإنسان خير بطبيعته لكن العوامل المحيطة به هي التي تؤدي إلى أن يبقى خيرًا أو يصبح شريرًا وللتذكير فإن إخوان الصفاء تحتوي على الكثير من التناقضات والسبب الكامن والمتواجد هو تعدد كتاب الرسائل هذا من جهة ومحاولة الإخوان التوفيق بين الآراء والمذاهب التي عج بها القرن الرابع للهجرة من جهة أخرى.

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص42، 43.

المبحث الثاني: كيفية الوصول إلى السعادة بأنواعها

وهنا نجد أن الإخوان يرون أن كل شيء يراد فهو من أجل الخير والخير يراد من أجل ذاته والخير المحض السعادة والسعادة تراد لنفسها لا لشيء آخر.[1]

إن السعادة عند إخوان الصفاء نوعان دنيوية وآخروية:

فالسعادة الدنيوية: هي أن يبقى كل شخص في هذا العالم أطول مما يمكن على أحسن حالاته وأكمل غاياته.

أما السعادة الآخروية: أن تبقى كل نفس بعد مفارقتها الجسد إلى أبد الأبديين على أتم حالاتها وأكمل غاياتها.

ثم أعلم أن حالات النفوس أن تكون عالمة بالأمور الإلهية، عارفة بالمعارف الربانية، ملتذة بها، مسرورة وفرحانة، منعمة أبد الأبديين، خالدة سرمدية كما قال الله تعالى "فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدين"، وقال عليه السلام: فيها ما لاعين رأت، لا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2]، والسبيل إلى السعادة الأخروية، لا يكون إلا بتصفية النفس، وهذه التصفية تكون بتعلم العلم والمعرفة، والإرادة الصحيحة بدل الفاسدة والتخلف بالأخلاق الفاضلة واكتساب العادات الجملية.

[1]- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص264.

[2]- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره ، ص516.

وأعلم بأن خير شيء يرزقه الإنسان السعادة، وأن السعادة نوعان: داخل خارج فالذي هو داخل نوعان: أحدهما في الجسد والآخر في النفس، فالذي في الجسد كالصحة والجمال والذي في النفس كالذكاء وحسن الخلق.

والذي هو خارج نوعان: أحدهما ملك اليد كالمال ومتاع الدنيا، والآخر الأقران من أبناء الجسد كالزوجة والصديق والولد والأخ والأستاذ والمعلم والصاحب والسلطان، فمن أسعد السعادات أن يتفق لك يأخي معلم رشيد عالم عارف بحقائق الأشياء والأمور، مؤمن بيوم الحساب، عالم بأحكام الدين بصير بأمور الآخرة، خبير بأحوال المعاد، مرشد لك إليها، ومن أنحس المناحس أن يكون لك ضد ذلك.[1]

إن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة حياتها كما أن والدك أب لجسدك وكان سببًا لوجوده، وذلك أن والدك أعطاك صورة جسدانية ومعلمك أعطاك صورة روحانية، لأن المعلم يغذي النفس بالعلوم يربيها بالمعارف ويهديها طريق النعيم واللذة والسرور والراحة السرمدية، كما أن الأب كان سببًا لكون الجسد في دار الدنيا ومرشدك إلى طلب المعاش فيها التي هي دار الفناء والتغيير.[2]

أفضل سعادة هي الأخلاق، وهي أن يتفق لك معلم ذكي جيد الطبع حسن الخلق، صافي الذهن، ومحب للعلم طالب للحق، غير متعصب لمذهب من المذاهب.

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج4)، مصدر سبق ذكره، ص49.

[2]- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص263.

والناس ينقسمون من حيث سعادة الدنيا والآخرة وشقائها إلى أربعة أقسام:

1- السعادة في الدنيا والآخرة: وهم الذين عندهم حظ في الدنيا من المال والمتاع والصحة، ومكنوا فيها، فاقتصروا على القليل منها ورضوا به وقنعوا وقدموا الفضل إلى الآخرة ذخيرة لأنفسهم كما ذكر الله تعالى بقوله "ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله".

2- سعداء أبناء الدنيا وأشقياء أبناء الآخرة: وهم الذين وفر حظهم من متاعها ومكنوا منها وارتقوا فيها فتمتعوا وتلذذوا وتفاخروا وتكاثروا ولم يتعضوا، ولم ينقادوا لأوامر الناموس ولم يأتمروا لأمره وتعدوا حدوده وتجاوزوا المقدار، وطغوا وبغوا وأسرفوا والله لا يحب المسرفين.[1]

3- **أشقياء الدنيا وسعداء الآخرة:** فهم الذين طالت أعمارهم فيها وكثرت مصائبهم واشتدت عنايتهم في طلبها، وفنيت أبدانهم في خدمة أهلها وكثرت همومهم من أجلها ولم يحضوا بشيء من نعيمها ولذاتها وأتمروا بأوامر الناموس ولم يتعدوا حدوده، وقد ذكر الله ذلك في آيات كثيرة من القرآن "إنما يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب".[2]

4- **أشقياء الدنيا والآخرة:** وهم الذين بخسوا حظهم في الدنيا ولم يتمكنوا منها، وشقوا في طلبها، فعاشوا فيها طول أعمارهم بأبدان متعبة، ونفوس مهمومة، ولم ينالوا خيرًا، ثم لم يأتمروا بأوامر

[1]- فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص464.

[2]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص63.

الناموس، و لم ينقادوا لأحكامه، وتجاوزوا حدوده و لم يتعظوا، و لم يعملوا في عمارة بنيانه ولا في حفظ أركانه، فهم الذين خسروا الدنيا والآخرة جميعا ذلك هو الخسران المبين.[1]

إن السعادة عند إخوان الصفاء، دنيوية وآخروية جسمانية نفسية، وكمال الإنسان وسعادته، في سياسته لجسمه ونفسه ولهذا يستحق اسم إنسان، ويرتقي إلي المراتب العليا ويصبح سعيدا في الدنيا والآخرة، وهذا يشترط منه الالتزام بالأوامر ولا يتعدى الحدود ويتجاوزها، ويمكن أن تصل نفسه إلى الصورة الملائكية، تلك الصورة التي لا يصلها الإنسان إلا بتطهير نفسه وتهذيبها ومحتوى الرسائل يهتدي به الإنسان ويبلغ السعادة الكبرى ويصبح من إخوان الصفاء وخلان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد وأصحاب المعاني وأدباء الحقائق.[2]

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص63,64.

[2]- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص66.

المبحث الثالث: الأخلاق المطبوعة والأخلاق المكتسبة.

بدأ إخوان الصفاء بتعريف الأخلاق الفطرية " أو ما اصطلحوا عليه بالأخلاق المركوزة في الجبلة على حد تعبيرهم هي : تهيؤ ما في كل عضو من أعضاء الجسد يسهل به على النفس إظهار فعل من الأفعال أو عمل من الأعمال أو صناعة من الصناعات، أو تعلم علم من العلوم أو أدب من الآداب أو سياسة من غير فكر ولا روية.[1]

إن الإنسان متى ما كان مطبوعا على الشجاعة فإنه يسهل عليه الإقدام على الأمور المخوفة من غير فكر ولا روية، وعلى هذا المثال سائر الأخلاق و السجايا المطبوعة الفطرية المركوزة فيها، وأما من كان مطبوعا على الضد من ذلك، فهو يحتاج عند استعمال هذه الخصال إلى فكر وروية واجتهاد شديد وكلفة ولا يعقل الإنسان هذه الأمور إلاّ بعد أمر ونهي ووعد ووعيد، مدح وذم ، ترغيب وترهيب وبهذه العلة وردت أكثر أوامر الدين ونواهيه[2].

فالأخلاق المركوزة في الجبلة توجد في الجنين وهو في رحم أمه إلى غاية يوم ولادته، تحت تأثير الكواكب فهذه الأخلاق وجدت بالقوة وتظهر عند السبب المؤدي إليها فمتى ما كان الإنسان مطبوعا على العفة والسخاء والشجاعة مثلا.

إن إبداعها اختراعها من الله تعالى بحيث أمرها بأسباب البقاء و الحفظ ومنها الحواس المختلفة والشعور وحتى الأفعال الإرادية والأعمال التي يختارها الإنسان والصنائع والسياسات، والإنسان خُلق

[1]– فؤاد معصوم، إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم ، ط1، 1998، دار المدى للثقافة و النشر، سوريا،دمشق، ص245.

[2]– رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص 44

قابلا لجميع الأخلاق والغرض من كل هذا هو أن يتمكن الإنسان من التشبه بإلهه وباريه، الذي هو خليفته في أرضه فينال بذلك الخلود في النعيم أبدا الآبدين ودهر الداهرين[1].

طبقا لتقسيم النفوس إلى نفس شهوانية فأول شهواتها اللذات الحسية كالغداء والروع والشوق تجاه المأكولات والمشروبات والمشتهيات والرغبة فيها والحرص في طلبها واحتمال المشقة والذل من أجلها والفرح والسرور بوجدانها والراحة واللذة في تناولها والملل والشبع عند الاستكفاء منها ومن القوى المنسوبة إلى النفس الحيوانية الغضبية حب الرياسة وحب الانتقام، وشهوة الإجماع، وكذلك الوهم والتخيل للمطالب والمنافع، والحفظ والذكر لعرفان أبناء الجنس والمخالف والاحتراس من المضارع والفرار من العدو[2].

الاتجاه الواضح لنزعة الإخوان الأفلوطنية أضافوا لها النفس الحكيمة ومما خصت به أيضا شهوة العلوم والمعارف، ومما أعينت به على طلبها وإدراكها والوصول إليها من الخصال المركوزة والقوى المجبولة.

وأما ثالث القوى فهي النفس الناطقة وتنسب لها شهوة العلوم والمعارف والتبحر منها وشهوة الضائع والأعمال والحذق فيها وشهوة العز والرفعة والترقي في غايات نهايتها والشوق إليها[3].

الذهن الصافي والفهم الجيد وذكاء النفس وصفاء القلب ، وحدة الفؤاد وسرعة الخاطر وقوة التخيل وجودة التصور والتذكار والفكر والروية والتأمل والنظر والحفظ ومعرفة الروايات والأخبار

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص 48ـــ49

[2]- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص60.

[3]- رسائل إخوان الصفاء، (ج2)، مصدر سبق ذكره، ص 117ـــ118

ووضع القياسات واستخراج النتائج بالمقدمات والتكهن والقافية وقبول الإلهام والوحي ورؤية المنامات والإنذار بالكائنات بعلم النجوم فهي شروط للنفس الحكيمة، تعينها لبلوغ الغاية وأما التي تنتسب إلى النفس الملكية القدسية فمن شهواتها القرب من ربها وقبول الفيض وإفاضة الجود على من دونها من أبناء جنسها[1].

إن الصفات السابقة تختص بكل نفس من الشهوات المركوزة فيها، أما التي تعم جميع النفوس والتي تعتبر بمثابة قانون لجميع شهوات النفوس المركوزة في جبلتها فهي شهوة البقاء وكراهية الفناء[2].

والأخلاق التي تؤدي إلى دفع ضرر و جلب منفعة هي أخلاق بني الدنيا والتي على الإنسان أن يعمل على قمعها وتهذيبها وهذا الأمر لمخالفته، لما جبل عليه الناس[3].

أما الأخلاق المكتسبة فهي تضاف إلى الإنسان نتيجة العادات المداومة عليها، واصطلح إخوان الصفاء أخلاق أبناء الآخرة هي التي اكتسبوها باجتهادهم ، إما بموجب العقل والفكر والروية، وإما باتباع أوامر الناموس وتأديبه وهنا تصير عنده عادة بطول الدرب فيها وكثرة الاستعمال لها وعليها يجازون ويثابون.[4]

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص53.

[2]- المصدر نفسه، ص 56

[3]- أنظر فؤاد معصوم، فلسفتهم وغايتهم، مرجع سبق ذكره، ص250ـــ251

[4]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره، ص 63.

إن الأخلاق المكتسبة هي أخلاق أبناء الآخرة لأن عللهم أزيحت قبل ورودهم إلى الآخرة، وأوضح لهم طريقها فيما يجتازون إليه من البيان والاستطاعة والقدرة والهداية والأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب وما شاكل ذلك مما هو بين واضح في أحكام النواميس وجدودها وفي موجبات العقول وقضاياها.[1]

أما أخلاق بني الدنيا وسجاياهم، إنما جعلت طبيعة مركوزة في الجبلة لأنهم وردوا إلى الدنيا جاهلين غير مستعدين لها.

إن الأخلاق المكتسبة تنقسم إلى قسمين ـــ منها ما هي مذمومة ومنها ما هو محمود، فالمحمود منها ما هي بموجب العقل وقضاياه ومنها ما هي بموجب الناموس وأوامره وهكذا حكم المذموم منها.[2]

الأخلاق المحمودة هي أخلاق الملائكة المؤمنين والمذمومة هي أخلاق الشياطين الكافرين لأنهما خلتان بينهما بعدٌ بعيد إحداهما مجمع الخير كله ، وهو الإيمان والأخرى ضدها وهي الكفر وهو مجمع الشرور كلها.[3]

[1]- رسائل إخوان الصفاء، (ج1)، مصدر سبق ذكره ، ص65.

[2]- المصدر نفسه، ص65ـــ66.

[3]- رسائل إخوان الصفاء، (ج3)، مصدر سبق ذكره، ص61.

خاتمة

خاتمة:

وهكذا يتبين لنا أهمية موضوع الإنسان بعد رحلتنا الممتعة في رحاب إخوان الصفاء.

- فقد وجدنا خلال دراستنا مادة عينية جديرة بالدراسة والبحث والعناية، وكفيلة بصياغة مفهوم شامل عن الإنسان، يشمل جوانبه الإنسانية والمعرفية والوجودية كلها، وحاولنا ان نلتمس أهم الجوانب الفكرية والفلسفية، لما لها من دور إنساني ومعرفي سامي، إذ قدم إخوان الصفا صورة ناصعة للإنسان، تتجلى في كيفية خلقه والواجبات المترتبة عليه حتى يحقق انسانيته والغاية من وجوده، ورسموا الطريق لمن يود الوصول إلى بر الطمأنينة والسعادة منطلقين من إيمانهم بأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، لذلك على الإنسان أن يعرف حقيقة ذاته قبل كل شيء، وإلا فإن كل معرفة أخرى تكون ناقصة وغير مجدية.

- إن المعنى العام لتفكير إخوان الصفاء يركز في النظر إلى الإنسان وفق نظرة نقدية من خلال:

  - الهاجس المعرفي في تقييم الإنسان.

  - نقد المذاهب والآراء السابقة عليهم.

- كما كانت لهم وجهة نظر في الأخلاق متصلة بسلوك الإنسان.

- وتتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتضمن مفهومات وأفكارا تصلح أن تكون بمثابة مرجع ثقافي تاريخي، يعيننا على إعادة صياغة مفهوم الإنسان العربي المعاصر بل هي تصلح لأن تكون مرجعا للباحثين والمهتمين بموضوع الإنسان مهما كان منبتهم الحضاري والفكري، لما تتضمنه من ثراء فكري وسبق علمي ومنهجي في مختلف المجالات.

- فقد تبين لنا أيضا أنهم قد تعمقوا في دراسة الإنسان لجانبيه المادي والروحاني قد درسوه دراسة تشريحية من خلال الإلمام بكل ما يخص الجسد ومكوناته، بل اهتموا بموضوع النفس الإنسانية الذي يدخل في إطار العلوم الإلهية وتعمقوا فيه ليصلوا الى أشرف معرفة، وهي معرفة الله عز وجل على الحقيقة انطلاقا من معرفة النفس فبينوا العلاقة بين الجوانب المادية والروحانية منطلقين من إيمانهم الوجود النفس وروحانيتها،

خاتمة:

ودعوا الى تحقيق التوازن بين الجسد ذي الطبيعية المادية وبين النفس ذات الطبيعية الروحانية ووضعوا منـــهجا علميا وأخلاقيا سعوا من خلاله الى الرقي بالإنسان، في أي زمان كان الى المراتب العالية، والى مساعدته علـــى تحقيق معنى وجوده في الأرض.

- وفي نهاية هذا البحث نعتبر أن إخوان الصفاء أول من تناول الأوضاع السائدة في عصرهم بالتحليـــل والنقد وتشخيص حقيقي لمشاكل الإنسان في عصرهم، بحيث لا ينحازوا الى سلطة فقدت شرعيتها، و لم يخلقوا في مثالية مقيتة بل جنحوا الى واقع اجتماعي، وكشفوا عن المفاهيم الانسانية الحقيقية، وحاولوا إنقاذ ما ينبغي انقاذه عن كل عصبية أو مذهبية أو قبلية ضيقة وبذلك جسدوا المعاني السامية للإنسانية مـــن أجـــل صـــياغة حقيقية لكرامة الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (1)، مطبعة نخبة الأخبار، 1305هـ.

3- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (2)، الجسمانيات الطبيعيات، دار صادر، بيروت، د.ت.

4- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (3)، الجسمانيات والطبيعيات والنفسانيات والعقليات، دار صادر، بيروت، د.ت.

5-رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الجزء (4)، العلوم الناموسية الإلهية والشرعية الدينية، دار صادر، بيروت، د.ت.

❖ المراجع:

1- أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت.

2-أمين أحمد، ضحى الإسلام، ج1، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، د.ط، القاهرة، 2003.

3- أمين أحمد، ضحى الإسلام، ج2، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، د.ط، القاهرة، 2003.

4- أمين أحمد، ظهر الإسلام، ج1، كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ط، مصر، 2013.

5- أمين أحمد، ظهر الإسلام، ج2، كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ط، مصر، 2013.

6-أحمد عبد الهادي، أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1997.

7- ابن المقفع عبد الله، كليلة ودمنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، سنة1998.

8- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، دار صادر بيروت، ط2، 2007.

9- توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، ط1، بيروت لبنان، 2000.

10- حجاب محمد فريد ، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1982.

11- حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل بيروت، ط3، سنة 1993.

12- حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، د.ط، 1405هـ، 1985م.

13- دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، ط5، د.ب، د.س.

14- سمير سرحان، محمد عناني، المختار من رسائل إخوان الصفاء، مكتبة الأسرة، د.ط ، د.ب، 1998.

15- عارف تامر، من تاريخ إخوان الصفاء، جامعة الجامعة، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1390.

16- فراس السواج، طريق إخوان الصفاء، مدخل إلى الغنوصية الإسلامية، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، سوريا دمشق، 2008.

17- كوربان هنري ، تاريخ الفلسفة الاسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط2، 1998.

18- معصوم فؤاد، فلسفتهم وغاياتهم، دار الهدى للثقافة والنشر، ط1، سوريا، 1998.

19- محمد ابن مسكوية، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مطبعة واد النيل، د.ط، مصر، 1399هـ.

20- منال إسماعيل عجوب، الإنسان و الأدب في رسائل إخوان الصفاء، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق 2010.

21- محمود إسماعيل، إخوان الصفاء، رواد التنوير في الفكر العربي، عامر للطباعة والنشر، ط1، المنصورة، 1996.

22- يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية و أعلامها، الشركة الشرقية للمطبوعات، ط1 ، 1986.

❖ **المعاجم:**

1- مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، ط 1، الأردن، عمان، 2009.

2- صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982.

3- صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982.

4- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط2، القاهرة، 1971.

❖ **المجلات:**

1- مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، العدد 22، ربيع 1391هـ -2012.

2- مجلة العرب الدولية، إخوان الصفاء، البصرة قبل ألف عام، 5 أكتوبر 2012.

3- مجلة الرسالة، علم النفس والتربية والأخلاق عند إخوان الصفاء، العدد 26، 1934.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الفهرس
شكر وعرفان	/
إهداء	/
مقدمة	أ-ب
الفصل الأول: الجذور التاريخية لتفكير إخوان الصفاء	
المبحث الأول: التعريف بإخوان الصفاء	4
المبحث الثاني: الأوضاع السياسية والاجتماعية في القرن الرابع هجري	14
المبحث الثالث: مصادر فلسفة إخوان الصفاء	23
الفصل الثاني: حقيقة الإنسان عند إخوان الصفاء	
المبحث الأول: مكانة الإنسان عند إخوان الصفاء	29
المبحث الثاني: ثنائية النفس والجسد	35
المبحث الثالث: النفس عند إخوان الصفاء	43
الفصل الثالث : الأخلاق عند إخوان الصفاء	
المبحث الأول: عوامل نشأة الأخلاق عند إخوان الصفاء	57
المبحث الثاني: كيفية الوصول إلى السعادة بأنواعها	63

المبحث الثالث: الأخلاق المطبوعة والأخلاق المكتسبة	67
خاتمة	**73-72**
قائمة المصادر والمراجع	**77-75**
فهرس الموضوعات	**80-79**

تم بحمد الله